

الأعمال الشعرية

أحمد سويلم

الأَعْمَال الشِّعْرِيَّة

أحمد سويلم

المجلد الثاني

- قراءة في كتاب الليـــــل
- شظايـــــــــــــــــا
- الزمـــــــان العصـــي
- الرحيل إلى المدن الساهرة
- لزوميـــــــــــــات

الفهرس

• تجربتي الشعرية[1]

يوما .. توقفت عند هذه الكلمات التي كتبها الشـاعر المجري – شندور بيتوفي – والتي تقول:

" ليس الشعر قاعة استقبال
يجتمع فيها المتحذلقون من حثالة المجتمع
بقصد الثرثرة والمهاترة..
- إنما الشعر أعظم شأنًا من ذلك
إنه مسكن مفتوح على مصراعيه
للسعداء والأشقياء على السواء
إنه معبد مقدس يؤمه كل الذين يريدون الصلاة
ولو كانوا حفاة..
يا من تود أن تكون صاحب قلم
تناول القلم إذا آنست من نفسك القوة
ثم تقدم إلى حيث لم يخْطُ أحد قط
وإلا.. خذ محراثـًا أو قالب إسكاف

---

1 رأيت من واجبي أن أقدم تجربتي الشعرية استجابة لرغبة أصدقائي من الباحثين والقراء.. لعلها تفلح في جذبهم إلى عالمي الشعري.

وألقِ من يديك عودك الجاف الحقير! "

أدركت كم أن الشعر – صعب وطويل سلمة – وأنه معركة نضال طويلة بين الشاعر والوجود بما يحمل من ماض وحاضر ومستقبل.. هو إذن تجربة حياة وصراع.. وموت.. تجربة نجاح وإخفاق. وهو إلى جانب ذلك قلعة عظيمة مطّلة على جميع أنهار وبحار العالم.. وفيها يمكننا أن نلتقي بتلك الوجوه التي تتحدى الزمن.. منذ كتب هوميروس ملحمته الشعرية العظيمة.. حتى ذلك الجنين المنتظر في باطن المستقبل.. والذي ينبيء بالجمال المثالي..

وقصتي مع الشعر لا تخرج عن ساحات ودهاليز هذه القلعة.. التي قد تبدو قلعةً حصينة مسلحة.. بالرغم من أنها مفتّحة الأبواب والنوافذ..

ولا أدري – تماما – متى كانت أول طرقة على باب هذه القلعة.. وإن كنت متأكدا من محاولاتي الأولى لهذه المغامرة.. منذ فَتحتُ عيوني على قراءات التراث الشعري العربي والصوفي في تلك الكتب الصفراء القديمة التي كان والدي الشيخ – رحمه ا – يحتفظ بها في خزانته الخاصة..

بعيدا عن عبث الصغار .. وكنت أتسلّل إليها في أثناء غيابه عن البيت.. وأنهل منها ما أستطيع.. حتى إذا أحسست بخطاه.. أسرع بإعادتها والخروج لاستقباله.. نافضا عقلي وقلبي من تأثيرها حتى لا يفطن إلى (جريمتي).. لكني يبدو أنني كنت أحيط هذا الرجل الطيب بهالة من الهيبة المخيفة التي لم تكن فيه.. ففي أحد الأيام.. فاجأني في غرفته.. مستلقيا فوق صدري.. وواضعا ديوان ابن الفارض أسفل وجهي.. وأدمعي تملأ عيني من شدة التأثر بما أقرؤه.. وحينما شعرت به فوق رأسي.. قفزت من مكاني.. لكنه نظر إلي في حنان وحب.. وأدرك كل شيء.. فضمني إلى صدره.. وبدأ يشجعني على القراءة في الشعر والتراث الشعبي.. بل كان يضمني إلى حلقة الذكر التي كان يعقدها في البيت ليلة كل أربعاء.. أهتز فيها على أنغام المنظومات الدينية التي تنشد في تلك الليالي الجميلة..

وكعادة أبناء الريف.. كان المسجد بالنسبة لي مدرسة ثقافية جامعة إلى جانب المدرسة التي تسقينا العلم.. ومكتبتها التي نقرأ فيها دائما ما نميل إليه.. وأذكر أنني كنت حريصا على قضاء ما بين العصر والمغرب في المسجد.. حيث كان

الشيخ عبد الهادي.. يتصدر المجلس ليتحدث إلينا فـي كـل شيء ويجيب عن كل سؤال.. والعجيب أن هذا الرجل لم يكن يملك من حياته إلا شهادتي (الفقر) و (لا إلـه إلا ا وأن محمدا رسول ا) – على حد قوله – لكنه لعـب دورا مـع جيلي الريفي في غرس قيم الحرية والرأي والحوار.. ومزيد من الثقافة العامة.. وأذكر أن أول علاقتي بالكتابة كانت فـي صورة رواية طويلة بعنوان (حب في الظـلام) ثـم تبعتهـا بقصص قصيرة – على قدر سـنّي وخبرتـي المحـدودة – مستمدا مضامينها من الحياة في الريف في بلدتي (بيلا) والتي تقع بالقرب من ساحل المتوسط في شمالي الـدلتا.. إلـى أن جاء عام ١٩٥٦.. وتلقـت مصر تهديدا بعـد تـأميم قنـاة السويس.. وامتنعت كل دول العالم عـن مسـاعدة مصـر عسكريا.. وبدأت الدعوة للتبرع لتسليح الجـيش المصـري وغنى محمد عبد الوهاب أيامها أغنيته (سلح جيش أوطانك.. واتبرع لسلاحه..) فانهالت التبرعات من أجل إنقاذ الكرامـة المصرية.. ووجدتني أكتب – بالعامية – على غـرار هـذه الأغنية متحمسا.. مشاركًا هذا الشعور القومي الفياض.. ثـم عرضت ما كتبت على صديقي الأزهري – حسـن محـرم

الحويني – وهو الآن مدرس بجامعة الأزهر – فوجدته يحفزني على إعادة كتابة هذه المقطوعة بالفصحى.!

لقد فجر صديقي في داخلي الشعر.. ولابد أنه أحس يومها بهذا الاشتعال الكامن الذي لا أنتبه إليه.. فاستفزه.. وحركه من ركوده وكمونه..

كان الشعر لدي هو الكلام الموزون المقفى.. وكان علي – كما فعل خاف الأحمر مع أبي نواس – أن أحفظ ألف بيت من الشعر.. ثم أنسى ما حفظت حتى أكون شاعرا مجيدا.. وكان علي أن أنهل من تراث الشعراء على مدى التاريخ الشعري حتى أحدث مدارسه: المهجر وأبوللو والديوان.. وأعجبني كثيرا في قراءاتي الأولى: صعلكة عروة بن الورد.. وبطولة عنترة – وشموخ امريء القيس – وتجديد أبي العتاهية – روميات أبي فراس – وفلسفة أبي العلاء – ومقدرة ابن الرومي – وتفرد المتنبي – وتمرد أبي نواس – ودراما ابن أبي ربيعة – وشعبية البهاء زهير – وتحدى البارودي – ومعاصرة شوقي وحافظ – ورومانسية ناجي وعلى محمود طه وجماعة أبوللو – وتأملات مدرسة المهجر – وتجديد مدرسة الديوان.

سكن كل هذا وجداني طوال سنوات ثلاث (١٩٥٦ – ١٩٥٩) وحاكيت شيئًا منه في قصائدي وأنا طالب في المرحلة الثانوية .. تغمرني الباءة الثورية والحماسة الشفافة التي استمدها من الإعلام السائد وقتها.. ومما كنت ألقاه في الفصل الدراسي من الشعور القومي الخالص.. فكان شعري انعكاسا تلقائيا لا يحيد إلى دروب أرحب من هذا!

وأرحل إلى القاهرة حاملاً شهادة إتمام الثانوية العامة.. وستة عشر عاما لم أبرح خلالها هذا الريف التقليدي..

ويصل الشاب الريفي إلى القاهرة.. تلك المدينة الصاخبة.. التي صبغت شعرها بالقهوة السوداء.. وانطفأت فيها براءة الطفولة.. وتفككت مفاصلها.. وبدت تجاعيدها.. وامتلأت بالمفارقات والتناقضات..

وجدت نفسي في قلب المدينة.. ألتحق بعمل لأعول أسرة مكونة من أم فقدت زوجها من سنوات.. وثلاثة أطفال صغار..

ترى.. أكانت تجربة جديدة.. أم هي إضافة على الشعر..؟

وما الذي يمكن أن تمنحه تلك المدينة الموحشة لهـذا الوافد البسيط الرقيق.. الذي حمل في قلبه الإيمان والبـراءة معا.. وماذا عن الشعر .. والشعراء.. والإعلام.. والسياسة.. ماذا عن كل هذا..!

لقد أدركت منذ الوهلة الأولى أن المدينة تقتحمنـي.. تتسلل داخـل شـراييني.. تتوحـد بخلايـاي.. وأن علـي مقاومتها.. أو مهادنتها.. أو التواصل معها بلا جراح.

جذبتني الساحة.. بإيقاعها السريع الذي يـدور فـي عجلة شديدة.. يخالف تماما ذلك الإيقاع الـذي أحملـه فـي داخلي من ريفي البعيد..

وكانت الساحة في بدايـة السـتينيات ذات ملامـح محددة.. فهي ساحة فرضت عليها حتميـة التغييـر.. مـن مجتمـع يعـاني بقايـا الرأسـمالية والإقطـاع والرجعيـة والصراعات على السلطة.. إلى مجتمع وجـد فـي النظـام الاشتراكي خلاص المرحلة.. وطبيعي أن يجد هذا التغييـر من يناصره من شباب مصر.. ومن يقاومـه مـن هـؤلاء التقليديين المحافظين..

إنها مرحلة انعكست على كل شـيء فـي حياتنـا.. اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفنيا وأدبيا.. وما يهمنا هنا مـا انعكس على الشعر.

فمنذ سنوات عشر تقريبا قبل هذه المرحلة.. بـدأت مدرسة الشعر الجديد تعلن تمردها على تقليديـة القصـيدة.. ورتابتها – وإن كانت تحترم الحوار مع التقليـديين بـرغم إعلانهم خصومتهم لهذا التطور الجديد.

وكان صلاح عبد الصبور رائد هذه المدرسـة فـي مصر.. والسياب ونازك الملائكة والبيـاتي فـي العـراق.. وبالرغم من المقاومة الضارية في جميع وسـائل الإعـلام.. فإن إصرار أبناء هذه المدرسة كان أقوى وأشد قـدرة علـى التصدي والصمود.. مسلحين بالثقافة المنوعة التـي تمـزج التراث البعيد بمعاصرة الحديث.. والثقافة العربيـة بالثقافـة الأجنبية..

وبدأت القصيدة الحديثة تأخذ مسارها فـي السـاحة بمفرداتها الخاصة.. وتشكيلها الجديـد وإضـافاتها وآفاقهـا المتعددة بين الغنائية والدرامية، وبين الرومانسية والواقعية..

وبين إضافاتها المسرحية علـى أيـدي الشـرقاوي وعبـد الصبور.. مؤكدة ثرائها.. وعدم جمودها في قوالب بعينها..

أين أنا إذن في هذا المعترك الصاخب..؟

إما أن أكون.. أو.. لا أكون..!

أدركت أن ما سبق وكتبته طوال السنوات السابقة – وما زهوت به كثيرا – لم يعد يصلح لهذه السـاحة الأكثـر حركة وقلقـًا.. ووجدت نفسي في قلب المدرسـة الجديـدة ألتقط خيوطها.. وأنسج منها إبداعاتي متكأ على ذلك الـزاد المتميز الذي حملته من التراث.. وما أقبلت عليه من الثقافـة الحديثة.. كان علي أن أعيد حساباتي في كـل شـيء.. وأن أقرأ ما قرأت – سابقًا – لكن برؤية أخرى تماما.. وأضـيف إليه ما استحدث في قلب العاصمة.. ثم بعد ذلـك أبـدأ فـي إفراغ رؤيتي الخاصة.

وكان سباقـًا مع الزمن.. واصـلت فيـه دراسـتي الجامعة (في كلية التجارة) في أثناء عملي اليـومي.. لكـن الشعر كان يحفر لنفسه مساره الخاص الذي لا يطغى عليـه أي مسار آخر.

التحمت بالساحة الجديدة لعلني أحظى فيها بقصب السبق – كما يقولون – ووضعت ما كتبت من قبل في (مظروف كبير) خاص كتبت عليه (ما قبل التاريخ).. ثم انطلقت من جديد مسلحا بإصراري على خوض هذا المعترك..

وفي أوائل عام ١٩٦٤ – بعد سنوات خمس من التجريب – كانت أول قصيدة حديثة لي رأيت أنها تصلح لتقدمني للقاريء.. وعلى الفور أرسلتها إلى جريدة (الحرية) . باسم رئيس تحريرها.. وسعدت بها منشورة على صفحاتها..

إذن يمكن أن تكون هذه الجريدة – غير المصرية – جواز مروري إلى الساحة المصرية.. وبالفعل رحب بأشعاري الدكتور عبد القادر القط حينما كان رئيسا لتحرير مجلة الشعر القاهرية.. لتبدأ رحلتي مع النشر بلا انقطاع..

وتتناثر من حولي دواوين الشعر الجديد.. كل له مذاقه وتجربته وإضافته.. وأكتب وأنشر قصائد متفرقة هنا وهناك.. ويشير على أصدقائي أن أنشر ديواني الأول..

لم يكن من اليسير – وقتها – أن ينشر شاعر جديـد ديوانه الأول – كما هي الحال اليوم – فقد كان النشـر لـه معايير قاسية ولجان أكثر قسوة..

راقت لي التجربة.. ووجدتها فرصة اختبار حقيقيـة لقدرتي الإبداعية – فجمعت عددا من القصائد ودفعتها إلـى (دار الكاتب العربي) وكانت دارا قومية.. وبعد فترة روتينية طويلة امتدت لأكثر من ستة أشهر.. تمـت الموافقـة علـى الديوان.. ليصدر في أعقاب النكسة (سبتمبر ١٩٦٧).

لكنني لم أكتف بصدور ديواني الأول هكذا.. وإنمـا أردت أن أعرف مكاني حقيقة في خريطة الشعراء.. ولهـذا دعوت الأستاذين الكبيرين الدكتور عبد القادر القط والشاعر صلاح عبد الصبور ليناقشاه في ندوة إذاعية متخصصة فـي البرنامج الثاني.. وكانت البداية الحقيقية تلك الكلمـات التـي لاتزال تتردد في وجداني بصوت هذين الرائـدين.. والتـي دفعتني بقوة إلى شق مساري الخاص بعيـدا عـن التعلـق بالجماعات السائدة أو بسلطة ثقافية معينة.. لإيماني أن الكلمة وحدها هي السلطة الحقيقية التي يتعلق بها الشاعر.. وهـي الحكم العدل لإبداعه..

كانت المضامين السائدة آنذاك تدور حـول محـاور الذات والحب والتعاطف والتنبؤ بالمستقبل والمصير.. وكنـا جيلاً قرأ التراث قراءة عميقة فاتخذه تكئة فنية ينطلق منهـا إلى العصر ودراما الإنسان مع الوجود حيث يثور ويتمـرد ويتطلع إلى الغد.

وبدأت رحلتي مع الكشف والارتياد في أقاليم الليـل والنهار والتراث والواقع والمستقبل.. وكنت أحرص كل يوم على اكتساب خبرة جديدة وتجارب أكثر تأثيرا.. تتسلل إلـى داخلي وتؤكد كل مقومات الإبداع..

وبجاذبية المسـئولية ومـذاقها المعـذب الجميـل.. وضعت ما أكتب تحت الأضواء الساطعة للنقد الذاتي – قبل أن أدفعه إلى النشر – وكثيرا – وحتى الآن – ما أتحول إلى ناقد مسلح بكل أسلحة الصراحة والمواجهـة والصـرامة – بعيدا عن الرحمة والمصانعة – فأسقط قصيدة من حسـابي.. لأنها – في تصوري – لا تمثل إضافة إلى ديـوان جديـد.. بالرغم من نشرها في مجلة أو صحيفة.. أو أجـدني أعيـد النظر في قصيدة كتبتها فأضيف أو أحذف .. أو أنقح..!

إنني أفعل ذلك دون خجل مع نفسي.. كأنني أصـلح من نفسي أنا.. باعتبار أن القصيدة وذاتـي كـلٌ واحـد لا يتجزأ.. وأن التجربة الشعرية هي تجربة حياة.. وهي تمـر بمراحل كثيرة ذات منحنيات ومنعطفـات ودروب- تنتهـي أخيرا إلى تسجيلها على الورق.. في دفتر خاص.. وهنا أكف تماما عن النظر فيها.. ولا أسمح لنفسي بالتعديل أو التغيير..

والتجربة عندي تبدأ – في دهاليز الزمـان الممتـد داخلي منذ الطفولة حتى لحظة كتابة القصـيدة.. بـل تمتـد بأطراف مختلفة في ماضي الإنسانية القديم..

وهي تعيش داخلي في ركن مجهول.. ومـا أكثـر أركان ذاتي المجهولة – حتى إذا لمست هذه (الخلية الأولى) لحظة تفجر معاصرة.. سرعان ما تتحول هذه (الخلية) إلـى محور (مغناطيسي) داخلي ينجذب إليه كل ما يحمل طرفًا من خصائص هذا المحور.. وتظل عمليات الجـذب والطـرد.. والقوة والضعف.. حتى يكتمل المحور تماما ويتشـبع بهـذه المفردات المنجذبة.. ولحظتها فقط أحس بقوة أشـواك هـذه التجربة داخلي.. وأن علي أن (أتخاص) منها على الورق!

وأنا على يقين بأن التعجل في إفراغ التجربة قد يأتي بأثر عكسي تماما.. ولهذا فمرحلة اليقين عندي لا تأتي بمجرد الإلحاح الأول.. بل أجدني – لهذا – أهرب وأهرب خوفًا من أن يكون ما أحسه (حملاً أجدني – لهذا – أهرب وأهرب خوفًا من أن يكون ما أحسه (حملاً كاذبا).. وأظل هاربا حتى أصل إلى أقرب نقطة من الرؤية والصدق والتجربة.. وساعتها لا أملك إلا الكتابة..

وفي يقيني أيضا أن متعتي الحقيقية هي في ذلك العذاب الممتع الذي أعانيه في داخلي حتى تأتي لحظة المخاض.. وهنا أكتب تجربتي في جلسة واحدة.. ثم أترك ما كتبت قليلاً حتى أستعيد طبيعتي - قبل القصيدة – لأتحول إلى قاريء أو ناقد.. فأقبل على القصيدة مرة ،ومرة أصلح منها..

لقد قصدت هنا أن أقترب من مراحل التجربة الشعرية.. لكني أدرك تماما أن بها عوامل كثيرة أخرى تتداخل وتتعانق حتى تتم التجربة.. يعجز أي مبدع أن يصفها أو يحدد ملامحها تماما.. أو حتى يعبر عنها.. وبالرغم من كل هذا فأنا أومن – كما يقول ناظم حكمت – أن (القصيدة

الجيدة هي التي لم تكتب بعـد) وإلا توقـف الإنسـان عـن الإبداع.. فقد كتب العمل الجيد!

دخلت بهذا ساحة الشعر – والنشـر – مـن أوسـع أبوابها.. وطرقت تجارب كثيـرة مـن التشـكيل الشـعري والخوض في (تجريب) الحديث بكل آفاقه. وما أصدرته في دواوين إنما وقع تحت اختيار دقيق من بين عدد كبيـر مـن القصائد.. أردت ورضيت أن أقدم نفسي من خلال ما نشرته في هذه الدواوين فقط – في حينها بالطبع –

ففي ديواني الأول والثاني.. كنت أتحسـس خطـاي فوق هذه الأرض الوعرة الملتهبة – وكانت أمامي تجـارب الرواد الكبار.. وغيرهم من رواد العالم الذين تصـل إلينـا أعمالهم كل يوم..

فطبيعي أن أقع تحت تأثير ما أقرأ وأحب.. وأحاول الانفلات منه حتى أتخذ لنفسي مسارا خاصا.. تجلـى فـي ديواني الثالث (البحث عن الدائرة المجهولـة) خاصـة فـي قصيدتي التي تقول:

أبحث عن دائرة

تتعرى فيها كل الأشياء

أبحث عن دائرة تصدق فيها الكذبة
لا تخفى عن أعيننا
أبحث عن دائرة أكسر فيها تمثال الضحكة
وأراه لا يتجوف في داخله الحزن..!

لعلها دائرة عارية من الظل والضوء معـا.. تتسـع للكلمات المسموعة والمنظورة والمكنونة في القلب.. إنها بلا شك دائرة البحث الذي لا يتوقف..

لقد كان هذا الديوان الذي صدر عام ١٩٧٣ – فـي أوله – حصيلة تجربة طويلة قاسية من الإحبـاط والتحمـل والتوقع الوهمي الذي عاشه المجتمع العربي في هذه الفتـرة التي سميت (باللاسلم واللاحرب) والتي انعكست بلا شك في أعمال جيلنا كله.. وكان معظمه مجندا في القوات المسـلحة منذ سنوات سابقة في انتظار الخلاص.

وكانت رؤيتي للخلاص تتكيء على مقومات عديدة.. أولها على الإطلاق الاعتماد على الـذات والتحـدي لهـذا المصير الذي اقتحم الساحة العربية فأصابها في مقتل..

وتجيء حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكنـت واحـدا مـن المشاركين فيها وتهطل علينا آثارها – الإيجابيـة والسـلبية

وتتعدد وتتفرد الرؤى لهذا الحديث الكبير.. ويقع المبـدعون في مأزق شديد .. فما حدث عظيم بكل المقاييس لكنه لـيس نهاية العظمة وقمة الخلاص.. وما جناه الإعلام في حق هذا الحدث من مبالغات أظهرته بصورة غير واقعية..

ماذا إذن يفعل المبدعون؟ .. إن هـم صـدقوا مـع أنفسهم خرج إبداعهم أقل من هذه الصورة الإعلاميـة التـي اقتحمت وجدان الناس... وإن هم واكبوا ركـب الإعـلام.. أصبحوا مبدعين إعلاميين وشاركوا في جريمة المبالغة!

إنه إذن مأزق شديد.. دفع المبدعين إلـى الصـراخ والبحث عن حل هذه المعادلة الصعبة عن طريـق التعليـق بالرمز والتراث والتشكيل الشعري الـذي يثـري التجربـة ويبعدها عن المباشرة.. ويجعلها ممتدة في الزمان القادم..

كان ديواني (الليل وذاكرة الأوراق) ١٩٧٧ انعكاسا حقيقيا لهذا القلق.. وفيه أتساءل:

من سيقول الحقيقة

قد تجيئين من عالم المستحيل

تفيقين..

قد.

قد تجيئين من عالم المستحيل..!

وفي هذا الديوان طرقت باب الدراما الشعرية- على مستوى القصيدة – بعد أن طرقتها من قبل على مستوى المسرحية في عملي الأول (اخناتون).

ومن خلال تجربتي مع الدراما.. أستطيع أن أؤكد فروقًا عميقة بين دراما القصيدة.. ودراما العمل المسرحي.. فليس كل من يتفوق في دراما القصيدة يمكنه أن يكتب دراما المسرحية.. فهما وإن اتفقا في التسمية يختلفان في كثير من الملامح..

إن دراما القصيدة لا تقوم فقط على رمز أو أسطورة أو حدث تاريخي قديم يحاول المبدع إعادة صياغته من جديد.. وإنما هي (فعل) و (رد فعل) بين مكونات القصيدة بأسرها.. بين المعجم الشعري من خلال ألفاظه ومفرداته.. بين الصور بعضها البعض.. بين طول وقصر السطور الشعرية.. بين إيقاعات الموسيقى الشعرية الظاهرة والداخلية.. حتى بين علامات النبر والتوقف والتعجب.. بين تداعي الأفكار خلال توتر القصيدة. بين الانتقال والانطلاق والعودة إلى مضمون العمل. بين العنوان وجسم القصيدة..

إنها صراعات لا تنتهي بين مقومات القصيدة نشعر فيها بهذه الدراما عالية النبرة..

أما دراما المسرحية – فهـي صـراعات المواقـف والشخصيات – وصعوبة كتابتها شعرا تأتي فـي التعبيـر.. فالشاعر هنا مطالب بضرورة إحداث التوازن بين لغة الدراما ولغة الشعر بحيث لا تطغي إحداهما على الأخـرى – كمـا كان يحدث في بعض الأعمال المسرحية لشـوقي وعزيـز أباظة –

بهذا الفهم الخاص والعلمـي للـدراما.. حاولـت أن أعمق تجربتي المسرحية فكتبت ثلاثة أعمال مسرحية هـي: اخناتون – شهريار- الفارس – وكما نلاحـظ فهـي تقـدم (نماذج) وليست شخصيات بعينها.

وفي عام ١٩٨٠ أصدرت ديواني الخامس (الخروج إلى النهر) حاولت فيه أن أؤكد قدرة الإنسان على الحياة في ظل حضارته وواقعه وتحديه ومصيره.. وفيه أقول:

إنني الآن أزحف للنهر..
في خطوتي نزوة البدوي القديم
يفجر في الصحراء الينابيع

أخرج للنهر..

يرتسم الرمل في شفتي

وأمتص ملحي.. ألثم أرضي

ألصق وجهي بكفي

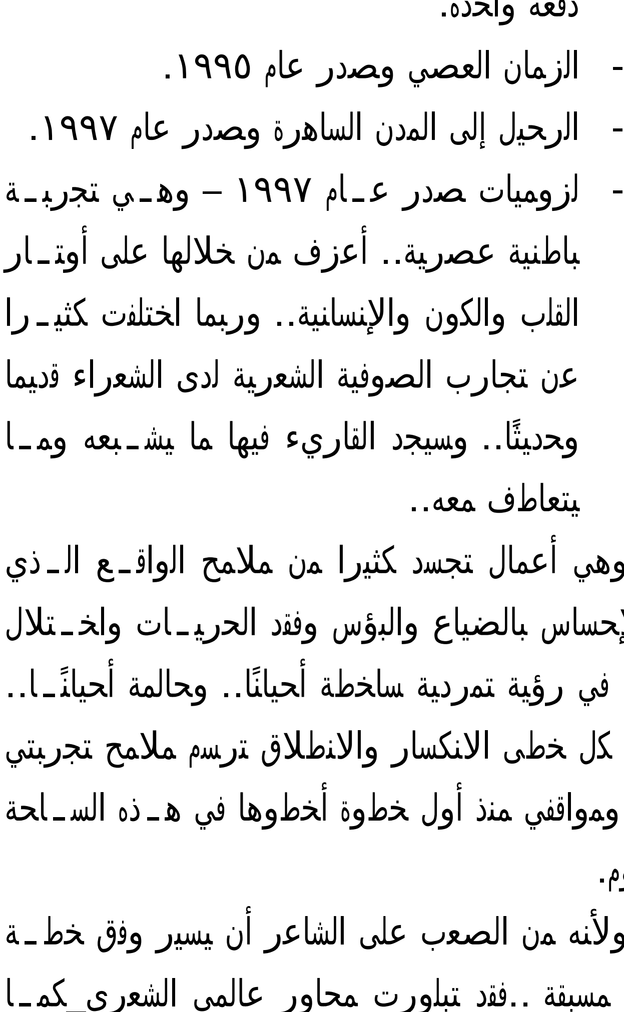
أحمل موتي للنهر.. أنظر مجراه

كيف توقف .. أخطأنا.. وانحرف..!

وتتوالى بعد ذلك دواوين: السفر والأوسمة (١٩٨٥) – العطش الأكبر (١٩٨٦) – الشوق في مدائن العشق (١٩٨٧) والذي حصلت به على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر) ثم جمعت دواويني الثمانية الأولى في مجلد واحد (١٩٩٢).

ويجد القاريء في هذا المجلد الثاني خمسة دواوين شعرية هي:

- قراءة في كتاب الليل صدر عام ١٩٨٩.
- مجموعة من القصائد القصيرة – صدر عام ١٩٩٣ وأحسب أن كتابة القصائد القصيرة لا يقدر عليها إلا شاعر باح كثيرا.. واكتسب خبرة الشعر.. وله تاريخ في مجال الإبداع بحيث



يهيئ له كل هذا التقاط الفكرة و التعبيـر عنهـا دفعة واحدة.

- الزمان العصي وصدر عام ١٩٩٥.
- الرحيل إلى المدن الساهرة وصدر عام ١٩٩٧.
- لازوميات صدر عـام ١٩٩٧ – وهـي تجربـة باطنية عصرية.. أعزف من خلالها على أوتـار القلب والكون والإنسانية.. وربما اختلفت كثيـرا عن تجارب الصوفية الشعرية لدى الشعراء قديما وحديثًا.. وسيجد القاريء فيها ما يشـبعه ومـا يتعاطف معه..

وهي أعمال تجسد كثيرا من ملامح الواقـع الـذي يعاني الإحساس بالضياع والبؤس وفقد الحريـات واخـتلال الموازين في رؤية تمردية ساخطة أحيانًا.. وحالمة أحيانًـا.. لكنها في كل خطى الانكسار والانطلاق ترسم ملامح تجربتي الشعرية ومواقفي منذ أول خطوة أخطوها في هـذه السـاحة حتى اليوم.

ولأنه من الصعب على الشاعر أن يسير وفق خطـة مرسومة مسبقة ..فقد تبلورت محاور عالمي الشعري_كمـا

أشار إليها النقاد_ في مثلث متكامل أضلاعه هي: الحب والحلم ورؤية الخلاص المتعددة أما الحب فهو..نابع من داخلي أنا..ولمقاييسي الخاصة..وليس بما يرضاه الآخرون...ويبدو أن الجدية في حياتي قد فرضت على أن أعلو فوق الصعب..وأحاول التفوق على نفسي وكبح عواطفي..فنظرتي إلى المرأة تبدأ من عقلها..ذكائها..وإعجابي بها من هذا الموقع يضفي عليها كل جمال.. فأنا لا تأسرني المرأة الجميلة المحشوة بالفراغ أو القش.. لأنها ذات جمال زائف غبي.. أما المرأة الذكية فلا يمكن أن تكون قبيحة.. فالذكاء والثقافة والعقل والحوار المستمر الذي لا يهدأ يشكل في المرأة كل ملامح الجمال والأنوثة التي يطلبها الرجل القوي..

إنني أعترف للمرأة بكيانها والاجتماعي والجمالي معا.. فهي تشاركني كل شيء.. لهذا فأنا أفضل التعامل مع المرأة التي تجبرني على احترامها وتقدير مواهبها واستقلالها.. ولا أحب المرأة التي تذوب في الرجل لمجرد أنها أنثى وهو ذكر!

ربما يندهش البعض من هذا التصور – المثـالي – لكنني – حتى في حالات الفناء العاطفي – أتطلع إلى المـرأة من خلال هذا التصور.. فأنا أحب أي أقدر وأحترم وأُجـن.. وأنا أمنح المرأة قبلاتي أو لمساتي تقديرا لما حباها ا مـن جمال.. وهكذا..!

والعاطفة في شعري تبدأ من تلك العلاقـة الخاصـة الثنائية بين الرجل والمرأة.. ثم سرعان ما تتطـور وتتسـع وتتأكد حيث أضفى عليها مزيدا من الألوان التي تحتوي كل شيء في الوجود.

إنني أعني بالحب هنا.. هـذا الإحسـاس بالحيـاة.. وليس مجرد شيء هامشي أو مكمل لمفردات الحياة.. ولهـذا فالحب عندي هو ذلك السباق بين الطرفين في العطاء.. إنـه لا يقبل المساومة.. أو انتظار العطاء.. لأنه يمتلك قـدرة لا تُحد على هذا العطاء بين الطرفين.. حتـى تنعـدم بينهمـا المسافة وتسقط الأسوار.. ويصلا معا إلى مرحلة الغـوص والاحتواء والفناء والجنون بلا توقف إنه صدق بلا حدود .. صدق في العطاء.. وصدق في التعبير.. ولهذا فإن الوصول إلى جوهر الحب أمر صعب تماما..

الحب بهذا الزمن المعصوب

لؤلؤة في حد السيف

وشهاب يلمع في العينين

لا يشكو الدوران.. ولا يشكو الجهد..

أما القصيدة .. فهي دربي الذي يصل بي إلى مشارف الحب:

أسقطتني القصيدة في خندق القتل

حتى انتهيت لعينيك

هل للذي استشهد الآن

عود إلى الرمل والطين والخطوة الشاردة؟

إن عاشق اليوم – في تصوري – يختلف اختلافًا شديدا عن عاشق الأمس.. فلم تعد المرأة اليوم وراء الخباء.. تلف نفسها بالصمت والغموض.. ويظل العاشق يرهف حواسه لعله يستمع – خلسة- إلى صوتها أو خفيف ثوبها.. أو تلوح منها ما يفجر في داخله الخيال.. فيناشد النجوم والقمر والرياح أن تراقب حبيبته وتظل معها.. وتحيطها بالراحة والسعادة.

إن المرأة اليوم أصبحت (عارية) تسير في الشارع.. تشارك الرجل في كل شيء.. ولهذا فإن الشاعر لم يعد يقنعه

أن يشبهها بالقمر أو يوصي عليها النجوم والرياح.. عليه إذن أن يبحث عن شيء آخر كامن لا تعتريه الحياة العصـرية.. من هنا كان عشقي للمرأة يبدأ من هذا الشيء الـذي أبحـث عنه حتى أجده.. وأظل أعمق نظرتي إليه حتى محور يصبح عالمي وجنوني.. واحتراقي.. وقدري..

ويتصل بهذا المحـور.. الحلـم.. فالشـعراء كلهـم حالمون مهما ادعوا الواقعية.. والقصيدة أول أحلام الشاعر.. وشاعر بلا حلم.. ناظم جاف جامد مطـرود مـن ملكـوت الشعر.. لكن حلم الشاعر يختلف عن حلـم العـالم.. فحلـم الشاعر لون من التمني الذاتي الذي يسقطه على الوجود..أما حلم العالم فقد خطط له من قبل لكي يتحول إلى حقيقة.. وإلا أخفق في حلمه.. ولهذا فإن أحلام الشعراء كثيرا ما تكون إما من الأحلام الخضراء.. أو الأحلام المستحيلة!

أما المحور الثالث فيكمل شكل المثلث.. وربما يمثل قاعدته أحيانًا.. وهو (رؤية الخلاص المتعددة) وينطلق حيث يعجز الحلم أو يصل إلى طريق مسدود.. إن هـذه الرؤيـة تتفجر بما يشبه التوقع في النهايات المفتوحة.. وترتبط لـيس

بالخلاص الشخصي وإنما هي أصلاً تبـدأ مـن الخـلاص الجماعي – باعتبار الشاعر واحدا من هذا المجموع.

وتتعدد في أشعاري رؤى الخلاص والتي تبـدأ مـن الهروب إلى الحب.. حتى آخر الطرف الآخر.. الهروب إلى الموت. وبينهما تتعدد (الخلاصات) والتي تتكيء دائما علـى تلك المتغيرات ومفردات الحياة التي تواجهني كل يوم وكـل ساعة وكل دقيقة.

أما علاقتي بالنقاد.. فقد بدأت منذ أول قصـيدة لـي (١٩٦٤).. وقد كتب عني وناقشني كثيرون أذكر مـنهم: د. عبد القادر القط – صلاح عبـد الصـبور. د. عـز الـدين إسماعيل. د. أحمد كمال زكي – صلاح فضـل – د. عبـده بدوي – د. شوقي ضيف – د. عبد العزيـز حمـودة – د. محمد عناني – د. ماهر شفيق فريد – د. صبري حـافظ – أنيس منصور – د. حامد أبو أحمد – د. عبد العزيز شـرف – د. مصري حنورة – د. محمد حسن عبد ا – عبد العال الحمامصي – د. يوسف نوفل – د. أنس داود – د. حسـين علي محمد – د. صابر عبد الدايم – د. محمد زكريا عنـاني – د. سعد أبو الرضا – بدر توفيق – علي عبد الفتـاح – د.

محمد عبد المطلب د. فوزي عيس – د. أحمد زلط – فوزي خضر وغيرهم كثير..

ولأن تجربة الشعر الحديث تمتلك القدرة على استشراف آفاق لا تُحد ولا تُعد ... منها المسرحية مثلاً .. فقد حاولت فتح أفق جديد للطفل من خلال الشعر.. فكتبت المسرحية الشعرية للأطفال مستمدة من تراثنا العريق.. بعيدا عن القوالب الجاهزة المستوردة الغريبة عن عالم الطفل العربي.. وأنجزت أكثر من خمس وثلاثين مسرحية كما جربت لهم أيضا القصيدة الشعرية.

وقبل أن أودع القاريء بعد هذا الطواف السريع.. أود أن أصارحه بقلقي الشديد على مستقبل الشعر العربي بعد أن سادت الساحة – تحت مسمى التجريب – تلك البدع التي تبناها بعض شعراء الجيل الجديد.. وبعيدا عن التعصب لتيار معين.. أو مدرسة فنية ما.. فإن المعروف أن الشاعر ليس ناقدا أو منظرا.. فإذا جمع الطرفين.. فلابد أن يكون هذا الجمع على حساب أحدهما .. وغالبا ما يكون على حساب الشعر أو الإبداع..

وهذا ما حدث لهؤلاء الأصدقاء الجدد.. لقد نظروا لأنفسهم – وليس لإبداعهم الذي يطرحونه على القاريء – وهم في تنظيرهم هذا – وليس غيرهم – المبدعون الوحيدون.. والمجربون.. والمجددون ثم ها نحن نقرأ لهم وننتظر أن نرى دليلاً واحدا على هذا التنظير بلا جدوى.

إن هناك فرقًا كثيرا بين أن يكون التجديد وسيلة أو يكون هدفًا في حد ذاته.. كما أن هناك فارقًا بين صياغة الحقائق والمعاجم اللغوية بلا معنى.. أو ما يسمى بالنظام العلمي (كألفية ابن مالك أو قصيدة ابن سينا في الطب أو الشعر المشجر والهندسي في العصرين المملوكي والعثماني) – وبين الشعر الذي يعبر عن عمق وجوهر الوجود فنيا.

إن ساحة الشعر اليوم تعاني خللاً شديدا .. وبدعا تطغى على الإبداع.. ووجعا بلا دواء ومهاترات بلا طائل لا تليق بالشعر والشعراء.. تتيح لأعداء الشعر أن يصرخوا: هذا عصر الرواية!

وحسبنا أن ننتهي الآن إلى أن تجربة الشاعر هي في الأساس تجربة حياة.. فالشعر حياة وحلم وخلاص وقدرة على العطاء..

وقد حاولت كل هذا – حتى الآن. وحاولت الإخلاص إلى هذا الجذب الموجع الممتع – الشعر – بكل ما أملك مـن طاقة وإيمان..

(قاعة استقبال يجتمع فيه المتحذلقون من حثالة

المجتمع بقصد الثرثرة والمهاترة

إنما الشعر أعظم شأنًا من هذا..)

فليس الشعر – كما يقول بيتوفي

وقد حاولت طيلة صحبتي للشعر أن أؤكد هذا!!

أحمد سويلم

قِرَاءَة
في كِتَــابِ اللَيْل

" ما أتعسنا نحن الشعراء
فقراء إذا صحونا
آلهةً إذا غفونا "

أبو القاسم الفردوسي

لَــوْ..... !

- لو أملك أن أنْزع

نفسي من أنيابِ الزمن الوحشية..

- لو أملك أن تمتد اللحظةُ حتى تصبح زمنًا..

أن تمتد الخطوةُ

حتى تصبح دربا..

أن تتوقف دوراتُ الأرض

تكف الشمس عن السعي المحموم

أن تأتيني أيامي القادمةُ – الآن –

أنسج منها عمري

أصنع منها قدري

أجعلُها أرضا تخصب

بحرا يأتي بالخير

ينبوعا للحبِ المتجددِ في الأعين..

- لو أملك

لو أملك أن أعزفَ لحنا علويا في أرضٍ عذراء

أن أُسمِع صخَر الأرضِ تراتيلَ غناء

- لو أملك

لكن القدر العاتي يرصدني بالعينين القاتلتين

يأبى أن ينمو عشْبي شجرا

أو يصبح لحني عشقًا ممتدا

أو يختصر الزمن بهذي اللحظة!!

لَحْظَةُ صَمْت

- رائع أن تكون على أُهبةِ الحب
ثم يجيئُك نَسرا يعاني الظمأ..
- رائع أن تظل سطورا من الحلم
ثم تصير الحروف شفاها
تصير عيونًا
تصير قلوبا
وتملك من موجك المبتدأ..
رؤيتي اتسعت في امتداد ذراعي
يالامتداد الرؤى.. وانهمار المدد
وتضيقُ العبارةُ..
أين احتمالُ الحروفِ .. وفيم البدد
والذي كان يأسِرني في الزمان القديم
تجدد بين يدي.. واتقد..
....
- سيد وجعي ... وعميق
ومفترشٌ لغتي.. طرقاتٍ من الجمر
فيها تسكّعتُ

فيها كَبوتُ
ولكنني الآن أعرفُ كم تتقاطع في ناظري
المسافاتُ
كم يزحفُ الصمت يترك في القلب ناقلةً
في غياب التواريخِ .. قافلةً..
- مدن.. قد تغيب
وأخرى تقوم جزائر..
لكن ما نغرس الآن ليست كهذي المدائن
يا أيها اليم.. فتتْ كما شئتَ موجك
كل الرذاذ الذي يسقط الآن فوق الوجوه
طيور من العشق..
- يا أيها اليم.. هاتِ المفاتيح
كلُ المغاليقِ توشِك أن تصدأ الآن
لن تجد اليوم من يمنح القلب .. والعين.. والصلواتِ
استوِ الآن فوق الأكف
حماما لأحلى الرسائل...
نحن إليك انتماء
ونحن احتراقٌ
ونحن اشتهاء على الموج

- رائع وجع العاشقين
نتطهر فيه.. فننمو نخيلاً يطولُ .. يطولْ
يشق السماء جناحين..
وردا هناك.. وتعويذةً في العيون هناك
وبينهما الوجه يورقُ صفصافةً
والمسافاتُ لا تتعدى انفراجةَ كفٍ
وفاصلةُ الأرضِ في القلب..
يا أيها اليم..
صوتُ القصيدةِ يبدأُ من لحظةِ الصمت
والنور من بقعةِ الظل
كيف تؤرخُ هذا الزمان الجديد
ولا تتوخى الحقيقةَ والصدق..
إنا ظللنا على أهبةِ الحب..
حتى استوى الحب في القلبِ ساريةً
أيها اليم.. جد باحتوائك
إنـا أتيناك من زمن المستحيل.

١٩٨٨/١٠/٢٧

المَلِكَة

- مملكتي العشقُ.. وأنتِ التيجان الورديـةُ.. أنـتِ الشاراتُ.. الأوسمةُ.. وأنت الملكة..

- عندكِ ذاكرةُ الماضي تسقطُ .. كي تتجـدد فـي شطيكِ سطورا من ألقٍ.. خطوا ممتـدا.. نقشًـا.. جمـرا لا يهدأ.. مطرا يغسِلُني.. تأتي غيمتُه من عينيكِ.. يطهرنـي.. ويعطرني.. ويلقنُني كل طقوسِ الحبِ.. ويفسِـح لـي فـي الآفاقِ.. فيلقاني ملَك يحملُني فوق جناحيـه مـن صـحراءِ الحيرةِ .. يسألُني عن وردِتك الأولى..

- أنزِعها من صدري.. تتفـتح فـي هـذا الألـقِ العلوي..

أطوفُ به.. أتلاشَى .. أشعر بالرعدةِ.. أسألُ عنكِ..

فيأتيني صوتُكِ عبر الريـح يسامِرني.. أعبر لحظتها

الصخر.. البحر.. الأسلاك القاتلةَ.. وكتب الموتى

الأحياءِ.. يعاودني الصوتُ.. فأعبر لا توقفني أوجاع

القدمين.. ولا تكسِرني الرعشةُ.. يقترب الصوتُ..

فأصعده سببا سببا.. أغزو الأسوار.. ينازلُني
صوتُكِ.. أبتلع النار.. فأخترقُ الكون بلا ريحٍ عاتيةٍ
حتى ألقاكِ.. وبين يدي وردتُك الأولى أرشَقُها في
صدرك..

- فُتِحت أبواب العمرِ القادمِ بين يديكِ.. وفُتحت كلُّ
بساتين الورد.. وذقتُ حلاوةَ هذا الشهدِ الناري..
وعافت نفسي كل بساتينِ الأرضِ الذابلة وألصقتُ
شفاهي في صدرك.. فانطلقتْ في آفاقِ الحلم عصافير
تشدو.. وتدق طبولَ الفَرح.. وتعزفُ أنغاما تُشعلُ
في القلبِ نخيلاً خِصبا.. أنهارا.. ونقوشًا خالدةً.. وتجيء
من الغيبِ ملائكةُ الحب.. فيهرب من ساحتِها
الشيطان.. وتنأى الجنياتُ.. ويأوي الملاحون إلى أرصفةِ
البحر.!

- هذا وقت لقائِك يا مولاتي.. في يدكِ عصاكِ
القدسيةُ
تضرب قلب الماءِ فينشق.. وتهمِس للعفريتِ ليأتي
بالأخبار.. فيرحلُ.. يرحلُ.. يرجع مشتعلاً غيظًا..
فتنادين علي.. أجيئك من بين غبارِ السفرِ.. ومن بين

الأزمنةِ الراحلة.. ومن بين الوجع المتوقِد.. وأشـدو لحن الدفءِ.. وأسكن عينيك .. وأُغلقُ هدبيكِ على جسدِي.. لا أبغي أن أشْهد إلا هذا السر المتجـدد.. أسـترخي فـوق العشبِ الظاميءِ.. يمتد جِواري نهركِ..

أتفيأُ ظل نخيلك.. أنظر آفاقي في عينيك الطيبتين ..

- مملكتي أنتِ

وأنت الملكةُ – فاتنةً – تسقين السحر

وتأوين القلب.

وتأتين بكل الحب!.

١٨-١١-١٩٨٨

اليَمَامَة

- ساهر.. لا يقَر
والشغافُ الذي قيد الجرح
ضاقَ به.. وانصهر..
ضاقَ به.. وانصهر..
هل تفجر من نبعهِ النهر..
أم صار نافورةً في الحجر..
أفتح الآن مملكتي
فترفرفُ فوقي يمامة..
وتحط على كتفي.. تؤدى صلاةَ السحر
ثم تفتح بابا إلى القلب
نهرا إلى الدم..
صفصافةً لحقول الشذا.. والسفر..
خفقةً.. خفقةً
دثرتني اليمامةُ..
تُطلقُ سِرب الحروفِ الذي لم تنلْه الرياح
تعيد القراءةَ في دفتر العشقْ..
أي هذا الغياب الحضور

وأي صدى استعيد

يقظةً.. يقظةً

تستحث خطاي... وتختصر العمر

تُخمد زوبعةً في السؤال

وتُسكتُ صوتَ الظمأ

إنه النهر..

(يمكن أن تَنْزِلَ النَهر ما شئت)

نهرك.. لم يجرِ حتى ضربتَ عصاك

على الصخر..

- يا شغفَ القلب والعين

أمسِي أُشيعه الآن

حين هبطتِ علي .. تُسِرين لي..

وتروين عيني نورا

تهزين نخلَ التراتيل..

- هذا دمي.. دفقةً .. دفقةً..

ساومتْني عليه الجوارح

كادت تعتقُه في المناقير

هذا دمي..

حملته البراكين جمرا

تلته الرياح .. شذًا

أسقطته السماء كتابا

....

ضحكت طفلةُ الحبِ بين ضلوعي:

- إنني أتجدد فيك

فلا وقت أن تتذكر عمر الأسى

واقتفاء الزوابعِ.. ذاكرة الوجد

- فجأة .. فجأة..

نزعتني اليمامةُ من وجعِ المستحيل

وألقت على القلبِ ماء الفصول

توحدتُ .. ذبتُ بهذا الفَنَاءِ الجميل

ساهر .. لا يقَر..

ساحةُ القلبِ مملكةٌ أنتِ فيها الزمان الندي

استريحي على كتفي

اسمعي خفقَةَ الحب تنتفِض الآن مثَلكِ..

تسكن عشًا بعيدا عن الأرضِ

نحن بدأنا الرحيل معا .. سهرا بسهر

واحتكاما لعينيك
والشعر
والعشق
والسنبلاتِ
وكل الفصول..!

قِرَاءَة في كِتَابِ اللَيْل

- ممتلىء شعرا

محتدم.. جمرا

اقترب إلى شعلِتكِ المتوهجةِ

فتجذبني..

تدعوني أن أقبضها..

أن أعصِرها

أن أقذِفَها في الكون

فتضيء الليلَ.. وتمنحني سحرا..

- أحيانًا...

تأسِرني .. وتقيدنُي .. تلقيني في البحر

لعل الموج

يطفئُني زمنًا..

- أحيانًا..

أقبضها.. ألصقها في عيني

أُغلق هدبي عليها

أعبد فيها السرا..

- عيناكِ تحومان بليل الحب

وتحطان على وجهي..
أصلُ عيوني بعيونِكِ
أنزع من عينيك أساها
من قلبكِ أستل الآها
وأجرد نفسي من نزواتِ الأرضِ
ووجع الليل
أحلقُ في ملكوتكِ نَسرا
يبني مملكةً لك
يقبض من نخلِةِ دجلةَ رطَبا
يجعله يمتد إليكِ.. سببا
يختصر الزمن
ويغزلُ كل مسافاتِ الأرض
ويصل النهر بماء النيل..
تطفو في هذا اليم جزائر حلمٍ خضراء
أُصلحها.. وأقص العشب المتوحش إذ ينبتُ فيها
أبني معكِ عليها كوخًا لاثنين..
هل يعرف أحد منا ماذا خاف البين
وأين..

أين نلاقي القدر يداعبنا ويصادقنا
ومتى يسقط ثمرا في الكفين
ومتى يصفْو ألقًا في العينين
- هذا ما يملؤُني شعرا
ويفتتني جمرا!.

١٩٨٨/١١/٢٧

لمَّا حَرَّرَنِي الشِّعْر

لا أكتمكم

كان خجولاً يهرب من ظله

كان يسير جِوار الحائطِ ينظُر في قدميه

حينًا.. يفلت من أعمدةِ النور

وحينًا .. تُدمى رأسه..

كان يمر على المقهى يسعلُ من أدخنةِ الليل

كان يرى العشاقَ.. يدير لهم ظهره

وكأن صديقي عند ا ..

نبي يحمل أسفار الحِكْمة

....

وانتصب الشعر بقلبي شجرا

يثمر كل صباح..

أحببتُ به..

وتنورت به

وهبطتُ به بين صعاليك العصر

قالت لي مرة:

- غير لونَك واسترخِ على عرش الكلماتْ

وادخل بين أزقِتها.. وامرح في الساحات
لكني أسقطتُ العاشقةَ العصريةَ من قائمتي...
وكتبتُ لها:
دونكِ غيري.. يمتلك القدرةْ
إني أوثِرُ أن أحترقَ بجمر الكلماتْ
وأودع كل المعشوقاتْ
إلا واحدةً تحملُ قنديلي في الطرقاتْ
تطفئُه الريـح.. فتشعلُه مرات
ينكسر.. فتصلحه مرات..
انتزعت عاشقتي العصريةُ قبضتَها القفازيةْ
لكمتْني في وجهي
صاحت: لن يمنحك الشعر جناح بعوضةْ
وعلى أرصفةِ الليل
أجنحةٌ ملقاةُ .. ما شئتَ تخير منها
فتحلق فوق البشر.. وفوق الأبراج
قلت: وماذا بعد
قالت: لو أنك تُنْصِتُ لي
لانفتحت أبواب الساحاتْ

واحاطتك الأوجه الزيناتْ
وغدت كلماتُك في عاب الليلْ
أحلاما من ياقوتْ..

....
- لا أكتمكُم..
لما طوقني الشعر
ولما حررني الشعر
ولما أنْطقني الشعر.
غير جادي الأماس.. عصيانًا للمألوف
وجراحا لا تبرأُ أبدا
وبحارا.. عاصفةً من عشق
كيف إذن أُمسي عبدا
تتقاذُفه السادةُ
والألوان..

١٩٨٨/١/١٠

الخَطَــأ

- مرةً.

غاب عن خاطري الشعر

وظننتُ الشروقَ انطفأْ

وسمعت صرير الحروفِ يزلزلني..

ويسوق إلي النبأْ.

- إن عينَك ليستْ من الصقر

قلبك ليس من الحجر

خطوك فوق السفوحِ انكفأْ

قلت: ما الذنب ذنبي

إنني تأبطتُ عصرا من الحزن

عصرا من الفقرِ

عصرا من الموتْ

ما الذي يفعلُ الشعر لو يجتريء

قيل: لو تصمت الآن

إنك في خبرٍ قد يطولُ.. يطولُ..

بلا مبتدأْ..

....

- هل أرى الآن قدر الخطأْ
(ربما قد أتينا خطأ!)
ربما العجز سد علينا الدروب
فغفَلنا عن الحب
عن حكمةِ العصر
عن لغةِ الشعر
وعلانا الصدأ..
أي شيء تُرى قد يعيد لنا الوجهِ
أم أن تعويذة.. قد تُبدلُ عصرا بعصر
فيجرفنا الموج للمبتدأ..
- ما الذي يتسال يروى الظمأ
الصواب الذي أثقلته الخُطى
أم جنون الخَطأ..

١٩٨٦/١٠/٢٨

رِيهَـــام

[في العام السادس عشر]

في طرفةِ عين

ملأت ريهام سواد العين

في طرفةِ عينٍ أخرى

حضنتْ حلم الكون..

في العام السادس عشر

قبضت بين يديها قوسين..

- نضجت ريهام.. زغرد في شفتيْها السحر –

وتصارع فيها الماضي والقادم

أثمر فيها العمر..

- ما عادت ريهام صغيرة

لكن..

ما زالت عندي في عمر الزهر

أرشَفُها كل صباحٍ.. كل مساء

فوق شفاهي..

ألصقُها في عمق الصدر..

وأغنيها أجملَ ما أكتب من شِعر..

- ملأت ريهام سويداء القلب
واستولت فيه على شلال الحب..
وانطلقت أسئلةٌ حيرى
تتقاطر من شفتيها.. كالدر
فأحضن دهشَتها.. وأضاحكُها
أُنسيها الأسئلةَ الحائرة..
وقلبي يشْقى بالجمر..
ريهام تُفجر في أعماقي الصخر...
تنُبشُ أشجان العمر.
لكن.. عيناها لي نافذةٌ تحلُو فيها الشمس
ويصفُو فيها البدر..
أنظر فيها العالم..
أقرأ فيها العمر القادم
أُسقطُ فيها بعض الأسوار
وأفَسر فيها بعض الأسرار
- عيناها لي قدر..
يهتك في داخلي السر
أرضى أن أخْسر فيه كل العالم

أربح فيه بسمتها النورانية
أرضى أن أخسر فيه كل الأحلام
وأربح فرحتَها الطِفْلية
أرسم كل خرائطِ خطْوي القادم
لكن يكفيني أن ترسم لي بأناملها
بعض خطوطٍ ذهبية
نضجت ريهام.. وزغرد في شفتيها السحر
نضجت.. وامتلكتْ عالَمها الحر
- كتبا .. أوراقًا .. أثوابا.. أسرارا من عطر..
وحديثًا يأسِر أو يعسر
يحمل للقلبِ بكارتَهن الدافئةَ
بليلٍ قَر..
- نضجت.. فبماذا أُوصيها الآن
وأنا أخشَى أن تنظر لي.. وكأني من أشـباح رمـاد الماضي
- أحيا مازلتُ بسوطِ الجلادِ.. وصوتِ القاضي..
هي تبغي لو يتغُير في وجهي
لو أمنحها حريةَ أن تحيا

أن تُخطيء

أن تدرك

حريةَ أن تبكي.. أن تضحك

....

- باحتْ عيناها لي: لا تخْشَى يا أبتِ..

هذا زمن مختلفٌ عنكم

يرضى أن نلبس فيه غير الجلد

أن تصبح كلُ الخطوات إليهِ مثلَ المدْ

....

- ريهام تفجر في أعماقي الصخر

ما عادت ريهام صغيرة

صارت تطلقُ في أعماقِي أفراح العمر ....

١٩٨٨/٣/٢٦

أَنْتِ

- إن لم تكوني أنت

تمزقين عند كل مفرقٍ خمار الصمت

وتُشرقين كل ليلةٍ

بقصةٍ جديدةٍ .. ما اشتهيتْ

إن لم تكوني أنتْ

تناجزين الموتْ..

وتحملين شعلةَ الدفءِ إذا شكْوتْ

لكنتُ منذ اللحظةِ الأولى.. انزويتْ

ونلتِ مني المقتْ!

....

طُغْيَــان

- طاغٍ في قلبي نأيـك
طاغٍ صمتـكِ..
صوتُـكِ..
ليلكِ..
شمسك..
لا أبغي جبلاً يعصِمني منك
أو أحدا يشغَلُني عنك
فأنا أتحرر في طغيانك!

....

لَوْ أَنَّ ..

- لو أن الريـح بِساطٌ يهبطُ بين يديك
لو أن الشجر المتسكع في شطِ الأنهار
يتناقلُ أشعاري حتى أذنيْك
لو أن الشمس استرختْ في دعةٍ
تلثم هدبيك
(لانعدم الزمن..
وضاقت كلُ مسافاتِ الأشواق!)
....

خُـرُوج

حين تجف المدن ..

وتحبس الريـح وراء جدار

تتسلُ من بين شقوقِ النار

أفاعي الزمن المنهار

أتمنى ساعتها أن يتقشر جلدي

أن يتناثَر.. جسدي

أخرج من دائرةِ الأرض

ومن ذاكرةِ الإبصار!

....

طَــيْر

- في الليل أشَاعوا عنك ..

(نامت في أحضان غريب

غابت..

وتخطفَها الطُير الجارح)

حين بكَرنا .. وتساءلنا

كانت أيدينا داميةً

كنا الطير الجارح..!

....

....

نُوقُ النُّعْمَان

- حين قضوا أن أغْرب عنهم
وأجيء بنُوقِ النُعمان
كان الزمن بقبضةِ كفي
ومسافاتُ الأرض أمامي.. خُطوةْ
لكني لما عدتُ إليك
انفرطَ الزمن وحوشًا جائعةً
تأكلُ نوقي
وتخط الليلَ علي عيني.!

....

القَادِم

- أقف على ناصيةِ الليل..

الناس هنا مشغُوفُون .. ومهمومون

منهم من خاصر محبوبته .. يغزلُ عرشًا

في أوديةِ العشق..

منهم من أعطَى ظهرا للناس..

يغوص خلالَ زجاجِ المعروضات

يتحسس حافظةَ نقوده..

ويقطب جبهتَه .. ويسير بعيدا!

منهم من ينظر في قدميه كمن يبحثُ عن شيءٍ ضاع

منهم من يسرع..

من يبطيء..

من يهذي..

من يترنح..

لكني – وحدي –

أقف على ناصيةِ الليل.

تشغَلُني أسئلةٌ تأتيني من ضوضاءِ المارة:

(لماذا يقهرني الليلُ.. ويبقيني أحرس ناصيتَه

أرقب في سخْط.. حلم العشاقِ

وفرح العشاق

ولا يأتيني القادم في الغد!)

الحُلْم

- أتسمع صوتَكِ موسيقى بين الأصوات
أتحسسه..
ألمس قسماتِه
أتشمم عطره..
(حين تجيء الريـح بأصواتٍ خادعة
أُعطيها ظهري..
لا أسمح أن تغزوني
حتى يأتيني صوتُكِ في عربات الشوق
فتطلُع منه شمس الحلمِ القادم!)
....

المُسْتَحِيل

- حلما ألقاكِ

دفئًا ممتدا.. نتعانق

ذاكرةً لا تهدأُ – حين يفرقُنا الليل –

(أي خُطى ساخطةٍ

يمكن أن تسحقَنا بعد.!؟)

....

أَوْسِـمَتِي

- أرحلُ في مدنِ العالم
في ذاكرةِ الاشجار
وذاكرة الآبار
وأرحلُ بين متون الأسرار
(لكني.. لا أجني أوسِمتي إلا في عينيكِ!)

اسْمُكْ

- كان اسمكِ منقوشًا فوقَ الصخر
حتى غطاه غبار الأيام
فسموك ملايين الأسماء
لكن اسمكِ في بؤبؤ عيني محفورا – مازال –
لم يسقِطْه غبار الأيام
وأكنى عنه بملايين الأسماء ..
....

البَحْـرُ

قالوا: إذا رأيتَ البحر
سبح بموجهِ واسترخِ..
- عيناك إلى السماء.
يمنحك ما لم يمنح الطيور..
لكنما قلبي معلقٌ بغير البحر..
إذا قطعتُ وصلَه.. جفتْ دماؤُه
تَقَصفَتْ أعواده
وليس عند البحر.. ما يصلح ما انكسر!
....

زَمَانُنَـا

- الدراويشُ عادوا يجيدون صنْع الحِكَم
الدراويشُ يقتتلون على الأنصِبة.!
أيعود زمان الكهانة ثانيةً
أين فينا النبي الذي ...!
(قد مضى زمن الأنبياء
واستوى فوق أحلامِنا الأدعياء
وارتضينا السأم.!)
....

الدَّائِرَة

- في كل صباح.. تُنهي لُعبتَها

تَسكُتُ عن بوحِ الليل..

تقرع رأسي .. يتوقفْ..

تسألني نفس الأسئلةِ الملتوية

ويسائلني أمسى .. وغدي.. ويسائلُني أطفالي

(وعلى باب الليل القادمِ

غازٍ .. آخر.!)

....

مَـتَـى ..؟

- الصلاةُ على مفْرِقِ الطرقات
للذين يجيئون بالحب..
أو للذين يجيئون بالبغض..
كل شيء على مفرق الطرقات
غارقٌ في الطقوسِ بلا تفرقة
والخُطى حولَه.. مرهقة
- فمتى ينزل الوجه أصباغَه
ومتى تسقُط الأقنعة.!

المَوْتُ

يفْجؤني شبح ليلي
اثْقَلُ من همي – أحسبه الموت –
آهٍ.. لا أتعجلُ ضيفي
فأنا أغزلُ مازلتُ خيوطي
وأُعلقُها فوق جدارِ الصمت
فيكون الشعر!
....

مُتَّهَم

متهم بالشعِر

ومتهم بالعِشْق

ومتهم بسعِير الكلمة..

- يا كل قضاةِ العصر

معترفٌ بالذنبِ أنا..

فإذا راقَ لكُم قتلي

فالتهمةُ باقيةٌ لزمانٍ آخر..!

....

تَجْرِبَة

- كان حين انطلقْنا معا
كان مثلى يعشَقُها .. ويطيلُ التَعبد
كان للنهر في القلب مجراه
للنخل .. مثواه
كانت الأرض إيوان مسجدٍ..
- كان حين انطلقنا معا .. أصدقاء
نتقاسم ود الجميلاتِ في قاعةِ الدرس
اكتب فيهن شِعري
وأرسم أحلامهن على صفحةِ النهر
- لكنه لم يكن شاعرا –
- أتذكُر يوما أتَى صاحبي واستدان قصيدةَ حب
أدركْتها حبيبتُه .. هجرتْه
وأقصتْه عن جنةِ الحبِ مثلَ الشياطين
(من يومها..
وصديقَي متشح لحيةً ليكفر عن ذنبِه المستحيلْ!)

....

- كان مثلى حين انطلقنا

كان يبني قصورا من الرمل

كان يفاخر بالنيل – أجملَ ما فجر ا ُ في الأرض –

كانت الشمس فوق الحقول

تشق لنا طرقاتِ النماءِ .. غدا..

كان يسعد حين يجادلُ حول أصالةِ هذا الوطن..

- كنتُ مختلفًا عنه..

لكننا .. نتعانقُ في آخرِ الشوط

نضحك في آخرِ الشوط

نُلقى على النهرِ أثقالنا..

ثم نمضي معا...

....

- مرةً.. جاءني ساخطـًا

حاملاً في يديه جواز سفر

يومها.. كاد قلبي يكُف عن الخفْق

تمنيتُ لو شُقتِ الأرض.. لو بلعتْنا معا..

- (عهدنا يا صديقي

نعيشُ على ضِفةِ النهرِ

نُلقي بأثقالنا.. نتحملُ هذا الضجر..
فلماذا السفر؟..)
قال: صوتُ الدنانير في داخلي ينتصر
نهرنا يا صديقي كان يفيض على الضفتين
ما الذي أمسك النهر فاصفر وجه السماء..
قلت: للنهر مثلَ الجواد
كبوةٌ .. ويعود
صاح: إني أسافُر حتى يعود.!
قلت: تهرب من ساحةِ الصبر
أين عهود الصبا بيننا
أين ما كنتَ فيه تجادلُ حولَ الوطن؟.
قال: كنا نخادع أنفسنا.. ونثرثُـر فـي الطرقـات..
ونهتفُ في قاعةِ الدرسِ.. كنا صغارا.. نُلَقن
حبا عقيما.. ونُسألُ فيـه.. ونفرغُـه فـي
الدفاتِر.. نُلقيه في آخر العامِ فـي عربـاتِ
القمامِة .. ثم نعود إليه.. نلونُه .. ونزينُه..
ثم نُسأل فيه.. ونفرغُه. نتخلص منه ونُمـنح

في آخر الشوطِ صك العبـورِ إلـى سـنةٍ
قادمة!..
قلت: والحزن يعصِرني:
ربما العيب فينا..
صاح مخترقًا أضلعي:
- ليت من علمونا أحبوا من القلب
كنا منحنا المحبةَ صادقةً.. والفؤاد
ليتهم ينتحون قليلاً .. فيتدفقُ النهر
يغسِلُ أعماقَنا.. وتجففُها الشمس
حتى نفيقَ على الحلِم والحزنِ والوجعِ السرمدي..
إنني الآن أرحلُ
ألبَس أرديةَ الزاهدين
وألبَس أقنعةَ المارقين
فلكل لباسٍ.. ثَمن..!
....
- لم أعد قادرا أن أعيد صديقي إلى ضِفة النهر
تلقيتُ منه خطابا أخيرا يقول:
- يا صديقي

إذا كنت مازلتَ تحفظُ بعض عهودي

فأنا قد نسيت

وإذا شئتَ.. ألقيتَها الآن في النهر

كي تستريح..!

١٩٨٦/٢/٦

طُقُوْسُ زَمِّ الفَم

- بعيني حين يفاجئُني الليلُ.. أسئلةٌ

وبكفي رائحةٌ لغبارِ النهارِ

وحبرِ الجرائدِ

والكتبِ الجاهلية..

والشوارع في داخلي الآن نهر كثير الروافد

(إن يقبل الليلُ.. يطوِ إلى الصمت أطراقَه

فتزيد البلية..)

- طُويت صفحةُ البوح من زمن

واختفت شهر زاد الجميلة

والفقير الذي كان يشكُو قديما

تخلى هنا عن فصاحتِهِ

....

قلت: أخلع ثوب الترقبِ والشعر

أُبعد نفسي عن صفقاتِ الرفاق

وعن جدل القول - حول الذي كان أو ما يكون

-

وعن أمسياتِ تزوقُها الكلماتُ

وتُزجي الفراغَ الذي ينهشُ القلب..
قلت: الشوارع وجهي..وصوتي
والأمسياتُ..ودفء المواعيد..

....

- متخمةٌ يا عيون الشوارعِ بالدمع
لكننا نحسب الدمع ضوء القناديل
- مطفأةٌ يا نجوم المدينةِ تخلُو سماكِ من الحلم
(لكنما الشعر يوهِمنا بالحكايا الدفيئة)
- معذرة يا عيون المدينةِ ..إننا رصدنا الوجوه طويلاً
فلا طائلَ الآن أن نتأملَ بالشعر..
إن أقف الآن سوف تداهِمني الخُطواتُ
وتسحقَني اللعناتُ
وتأكلُ وجهي عيون المرابين..
- تجذبني ملصقات الشوارع
أنظُر فيها اللغاتِ الغريبةَ
أنظر فيها وجوه الرجال..وجوه النساء الجديدةَ
أسألُ نفسي:
متى ينظُر الناس وجهي في الملصقات

وفي الصحفِ المستباحة
أصبح نجما يحيطُون بي
وأوقع أوراقهم بابتسامة!!
- لا طائل الآن من ثقل الشعر
واللغة القرشية
والكتب الجاهلية
والنحو والصرف..والأبجدية..
(والوطن- الحلم- مستعر في الرمال يفجر نخلاً..وجرحا
ولون الشهادة في أعين الثاكلات
ولا يطفئُ الجمر.. ما يفعل الشعر!)
- تلك الشوارع يملؤها الناس
والناس لا يعرفون الطريق إلى قاعة الأمسيات
يتبارى بها الشعراء..وهم يلبسون الثياب الأنيقة
يشكو ملء القصائد جوع البطون..وعرى الجسد..
- كيف للقلب أن يتئد..
والشوارع يملؤها الناس
والناس لا يقربون المحافل- يختاف المترفون عليها
يقُصون عن عبقرية (موزار)

أو ريادة (باوند) للشعر
-ونسوا يوم ضاق بهم واحد فتغذى بلوحات النيل
ثم بكى.. وارتحلْ!
- فجأة ..أتوقف في المنعطفْ
فأرى ألف بابٍ..وباب..
وأود أصيح..بما أعترفْ
الشوارع يملؤها الناس..
والملصقات..ولون الوجوه الشقية
والوطن-الحلم واللعنات..تحاصرني..
-أنظر كفي فارغة..فأزم فمي
وألوذ إلى حائطٍ كاد ينقض..
أغمض عيني..
أقبض رأسي
لعلّي أحلم أن يتغير جلدي
فأخلع ثوب الكتابةِ
ثوب الكآبةْ..

١٩٨٧-١-٦

بِلادِي

[بلادي وإن جارت على عزيزة
وأهلي وأن ضنوا على كرام]

- وقوفًا على بابك الآن
هل تضعين المساحيق- مازلت -
أم أن وجهك أعيا الأطباء حين اعتراكِ الوهن
- شحوبا على ربوة الأمسِ
هل تندبين التوابيت- ما زالتِ-
تحتملين المحن..
- أمد يميني..امنحيني كتابكِ
(هذا المدمى بلون صباكِ)
امنحيني كتابك
غدر الصحاب يظلل عيني
يجعلني الآن اقرأ حتفَ الوطن..
- لا تجوري على
لا تأمري البحر تعصف أمواجه بالسفن
- لا تجوري..
كفاني.. عصافيرك الآن كفتْ عن البوح

والشجرات التي مدت الظل أنقشُ عهدي عليها
تخلت عن العهد..
- إني قدمت من النيل..
والنيل مد زراعيهِ بالدفء
ضم اتساع خطاك- من البحر للبحر-
إني قدمت من النيل..
تشمخ فيها الشجيرات من أجل عينيك
أطوي بجنبي لون صباك
وأطوي المسافات..أطوي الزمن..
-امنحيني كتابك..أقرأ آياته الآن
أنزع صمت الكفَن..
فالصاحب على ضفة النيل
لم يبخلوا بدماء القلوب عليك!
(التواريخ تشهد
صخر جبالك يشهد
هب العواصف يشهد
وقع خُطاكِ من البحر للبحر..
يشهد أنا لكل المِحن!)

- قيل:كم تدفع الآن للعشق

(كل الثمن.!)

افتحوا الآن صدري..كم تشهدون به من دمن

قيل: سيدة السقم تخلع في الليل أثوابها

لترتقَ ما أحدثته الشظايا نهارا

فيسكنها البرد ملء البدن

- إنها الآن غارقة في الدماء

صبغت رملها بالدماء

غسلت حبة القلب واهنةً

أصبحت اللون.. والصوت..والليل ..والصمت

..والبحر..نبض دماء.

-إنها الآن تنسى القصائد والشعراء

وتنسى الملاحم والبوح

كل الذي كان..أصبح مثل الوثن..

والذي جاء يركب مهرا ليطلبها الأمس

أزهق طاقته..وامتهن.!

- إنني الآن جئتُ.

معي النيلُ مستعرا

أترى (أم أوفى) تقابل عاشقها اليوم بالشوق
أم أن عاشقها قد غرب
حتى إذا عاد..أخطأ لون السنن.!
- قد تحملت من قبل
لكنني عشت خطوا من الجمر
ألقى وصايا المرابين في البحر
(كيف تُغلقُ أبوابها الآن دوني
تنبذني الأمسيات..وحملقة الجاريات
- إذا جئت- نفقد حكمتنا..ونُجن.!)
- في دمائي ينخلع القلب
دوني يشتعل البحر..
فوق الرمال تدق النواقيس
والشهداء يطوفون بالليل في الطرقات البعيدة
- هل أحرق الآن تلك السفائن
هل أهرب الآن حين تنادي الروابي المدماة
أزرع فيها المتاريس..
- سيدتي..
إنني جئت..لا تُسلميني لأيدي الهزيمة

جوري كما شئت (أنت العزيزة)
لا تفقدي الآن شوق المحارب
إني وقعت بالموت - من زمن -
كي تعيشي..
وإن جار قلبك..
أنت الحبيبة- رغم المحن-!

١٧-٨-١٩٨٧

أَوْسِمُةَ الفَقُرَاء

[فقراء..لا..وا
نحن ربابة للسائرين
نواحها..غني بهم!]
محمود حسن إسماعيل

- بل شعراء..فقراء..وا
نتغنى بالداء..ونفْنَى في الآه
ونسافر في داخلنا..ونضل كثيرا
نبنى.. نهدم أكواخًا..وتوابيت
وأرحاما..وجباه
- نحن الشعراء الآذان..الأعين..والأفواه

......

- يا حادينا..
هل تسأل عن قافلة كانت تسري بالحب
أم أنك تسأل عن نخلتك الشماء
لكم أسقطناها رطبا في أيدينا
ثم تقافزنا..نحضنها عبر مدقـات الحقل
فتساقط منا- ترسم دربا من ثمر-
فيلاحقنا الحارس في يده سكين..وبقايا سعف!.

- كنا مثل القمح سنابل..نضحك.. نضحك
لا يهزمنا الخوف..
فماذا أصبحنا؟.
شعراء..فقراء..وا
- نتأمل بالشعر..ونحكي قصتنا لليل
لكن نجوم الليل تراوغنا..لا تسمعنا
- نغرس حلما في طرقات العِشق
فتولد في الفجر الأزهار
وتذبل في الفجر الأزهار..
- نطلب نبع الأرض الصافي يروي ظمأ القلب
لكن الأرض
تشرب ما ينبع من ماء
وما يهمي من أمطار..
- أصبحنا شعراء..فقراء
لم نشْك إلى أحدٍ وجع الفقر..وجدب الشعر
ألجمنا أنفسنا..لا نقبل نُصح العالم بالأمر
قالوا:كيف جهلتم أسرار اللعبة؟.
يمكنكم في ليلة سمر أن تمسوا بين الناس

سراة الشعراء
(فالبحر العاتي ينبع من أقدام السادة
وسفينة نوح تعبره..لا تخطئ أبدا
والشمس خيوط الخير على أرض الخِصب
لا شيء هنا مذموم..أو يوحى بالجدب..)
- تلك اللعبة كاملةٌ يا شُعراء!
قلنا:لسنا نتقن هذى اللعبة
فالكلمةُ سيفٌ إن يكْسر يوما
سقط الفارس..وانفرط الشعر..
قالوا:فلسفة يعوزها البرهان
ما أعجبكُم..فقراء..
وموائدنا.. تدعوكم كل أوان
ما أجهلكم..شعراء
ولياليِنا..مفعمةُ الألوان
نِعم وارفةٌ.. وفنون .. وحِسان
قالوا – فيما قالوا -:
(العالم سيرك للألعابِ النارية
من يحرز سبقًا .. يصعد للأدوارِ العلوية..)

لكنا يا شاعرنَا – مثلَك – ألحمنا أنفسنَا
لم نتدرب في الحلَبة
كادت تقتلُنا الأفيالُ.. وتأكلُنا الدببة
فخسرنا اللعبة..
وتعانقنا في وهج الشمس.. وتحـت ظـلال
اللغةِ الصعبة..
- مثَلك .. مازلنا فقراء
نمتلك الكلْمةَ – لا تسقُط
والوجه الممتشقَ على ساريةٍ – لا يسقُط –
(تلك براءتُنا في ساعاتِ الشدة!)

١٩٨٧ /٤/٢٥

أحْزَانُ عُرْوَةَ بْن الوَرْد

تأخذين برأسي كل مساء

تجيدين هدهدةَ القلب

تحملين غبار المسافات.. عصفَ الحكايات

عيناي تلتئمان .. تَحطان فوق عذوبةِ صدركِ..

أقْضِم خُبزِي المندى بصوتِك

- يؤنسني في ليالي التوجسِ والغزو –

يزرع في الصحراء نخيلاً .. إليه أفيء

وأغمض عيني..

أحلم أني بصدركِ طفلُ التوهج..

- أنكرتني القبيلةُ منذ ولدتُ..

طاردتني القبيلةُ.. ضج بي الشعر والشعراء

رمتني القبيلةُ بالشركِ.. والإفكِ

- تطلب رأسي –

تمنح أبهى القلائدِ للفائزين..

- ارتميتُ بصدركِ يا رحبةَ الصدر

لُذْتُ بعينيكِ

سيفي جفونُك..

شِعري من وجنتيكِ يضيء

....

جئت رث الثيابِ فقيرَا

أغني بشِعري لمن هام مثلي في الصحراء

- جئتُ .. لا تنكري الخطْو

لا تسلميني لسيف القبيلة

حسبي (أقسم جسمي بين الجسوم

وأحسو برودةَ مائي.. من أجل عينيكِ

تشْفى جراحِي من أجل عينيكِ

ينطلق الشعر مني سِهاما تمزقُ ليلَ المرابين

تُسقط أعتى الحصون ..)

- وأنا لا أهون..

لأني عاهدتُ عينيكِ ذاتَ صباحٍ .. وهاجرتُ

يوما.. ُأغِير على النجد

يوما.. ُأغِير على السهل.

كلُ الليالي الكئيبةِ ُأسقِطُها تحت سيفي

كلُ حكايا الصعاليكِ

كلُ الأساطير
تذْكُرني في ليالي القبيلة
- ليس لي الآن غير ملامحِ وجهك
شاهتْ وجوه القبيلة
شاه بها الشعراء
- يريقُون وجه القصائد بين دنان الشراب
يحيلُون سقْطَ الرجال ملوكًا على الأرض!!
شاه بها الشعراء..
- منذ هاجرتُ .. سيفي أُشرِعه في الوجوه الكئيبة
حرفي أُنْفِذُه في القلوبِ..
لعل الحجارةَ تسقُط
أبني سياجا من الحب..
أفتح بابا من الدفء .. للأشقياء..
- اقبليني – كما جئتُ ملتَجئا
اجعلي الحب بيني وبينكِ مبتدءا
إن شِعري منذ سئمتُ القبيلةَ مشتعلٌ في العراء
لا تطيلي التساؤلَ عن سفري في ليالي الشتاء..
- إن سيفي ملك يميني.. مازال

والشعراء..

يريقون ماء الوجوه..

يكيدون للشعر .. والوطِن – الخصبِ –

- أيقظي الآن عينيك

ظلّي لدي ..

اجعلي الحب بيني وبينكِ مبتدءا

- أيقظي الآن قلبك

لا تُسلميني لسيف القبيلة

١٩٨٤/٧/٢٢

إِسْـرَاء

[إلى أطفال الحجارة]

صليتُ الفجر..
فأحسستُ الرعشةَ تسري في أعماقي
انتفض القلب الخاملُ .. شَق جدار الليل
خاطبني الملَك النوراني:
- اتبعني يا عبد ا ..
- لكني لستُ نبيا، أو صديقًا .. أو حتى عرافًا.! -
صاح: اتبعني يا عبد ا .. ولا تسألْني..
حلق بي الملَك النوراني..
ذَهلت عيناي.. وأصغت أذناي
- كان العالم من تحتي قبضةَ كف
والريـح تسابيح..
ولون الشمس رذاذًا فوق غصون الأشجار
- تساءلتُ: إلى أين..؟
- في لمحة عين.! –
هبط الملَك النوراني..

أنزلني في صحراءٍ.. قال:

- هذا قدرك يا مسلوب الخَطو

انظر قُدامك أو خلفَك .. تعرفْ ماذا ينتظرك

- كانت صحراء قانيةً تسبح في موجِ سراب

قلت: لعل الشمس استعرت

فقبضتُ الرملَ بكفي.. قبضتُ دما مازال نديا

فارتعد القلب وزاغَتْ عيناي..

تلفتتُ.. فلم أجدِ الملَك النوراني

أسرعتُ.. أصيح.. أصيح.. أنادي

فارتد الصوتُ عليلاً في أعماقي..

حدقتُ النظَر طويلاً.. ثار غبـار.. أخذتْـه الريـح بعيدا

- هذا سور .. أم بيتٌ مهجور –

أسرعتُ إليه.. درتُ كثيرا حولَ السورِ.. تسللت

- أكوام رمال..

باب مكسور.. ونوافذٌ تصفِر فيها الريـح

وأحجار متناثرة

لُعب .. أوراقٌ.. أقلام.. وحقائب

رائحةٌ للموتِ.. مقاعد متخاذلةٌ..
أقمصةٌ دامية
وحكاياتٌ ناقصةٌ فوقَ شفاهِ الأطفال..
- خففتُ الوطء قليلاً
يتدلى جرس من فوق جدار
مازال أبو ياسر يمسِك حبلَ الجرس
وينظر في ساعتِه الرقمية
والأطفالُ.. أراهم في غُرفِ الدرس
نياما فوق موائدهم..
أو تحت موائدهم..
ينتظرون نهايةَ هذا الفصل..
وفوق السبورةِ تاريخٌ مشئوم
أخطا كاتبه في السنةِ الميلادية
فلم يكتب رقم الألف
(أتُراه يعني عصر الغاب
أم حاولَ عمدا أن يرتد الزمن ولا يمتد!)
قلت: أكون أبا ياسر
وأدق الجرس الصامتَ أُنْهي هذا الليلَ الموحش

أسرعتُ.. تعثرتُ برأسٍ صغيرٍ يتوسل

أمسكتُ الرأس أسائِلُه قال:

- نحن الأطفال الشهداء

نحن حجارةُ هذا السور

ومئذنةُ الأقصى.. والساحةُ – داميةً –

نحن الأجراس.. أوراقُ السادةِ فوق موائدهم،

نحن اللعبةُ – خاسرةً – في أيديكم

نحن حكاياتٌ متجددة..

فاقرع أجراسك للسادة..

لا تقرعها للأطفال..!

....

- أنهار الصمت بقلبي.. فتفجر جمرا

وتقاطر من عيني دموعا.. غمرتْ جمجمةَ الطفل

انطلق دخان يصاعد .. يصاعد .. ينشق:

- صوت طبول .. وزئير وحوش

وشظايا..

ألقيتُ بنفسي في أقربِ حفرة..

وضممتُ إلى صدري كل جماجم أطفالي..

....

- واجهني الملَك النوراني:

(الآن تخير أقدارك!)

قلت: الجرس الصامتُ يقرع رأسي

لكن جماجم أطفالي.. تشطُرني نصفين

قال: احملْها معك الآن

واضرب كل رءوس السادة

وأنثرها فوقَ موائدهم

واملأها بشرابٍ يوقظُ فيهم ما غاب..

وما مات!

....

- لا أكذِبكم يا سادتَنَا

أسريتُ الليلةَ.. واستعرتْ أعماقي

أبحث فيكم عن صديقٍ واحد

يحمل مثلي هذا القدر الدامي

ويدقُ الأجراس.!

١٩٨٨/٢/١٣

الصـــيَّادْ

حدثْتُه .. حدثني
ولم يزد عن جملةٍ واحدة
ثم اختفى في الموج..
ألقيتُ ما أحملُ من شباكي
قرأتُ سورةَ البحر.. وسورةَ الصحراء
وكل ما لم تُنزل السماء
أشعلتُ فوق الشاطيء البخور
ألقيتُ التمائم المرصودة..
لكنه غاب.. وأمعن الغياب..
أنصت .. صوتُ طفلتي التي اصطفاها الموج
يوما.. وحدها..
أنصت.. صوتُ ما تقصفَتْ به الضلوع
ما يشْرقُ في الحلوق..
نزعتُ قلبي من إساره
قذفْتُه في البحر.. حتى يستجيب
زلزلَتْ مفاصلُ البحر.. وملأ الفضاء ضِحكا

يا أيها القاصم ظهري ألفَ مرةٍ
أريد فُلْكا
هزأْتَ بي..
أسقطني العالم من حسابِهِ
وراهن الملح علي الجمر
زلزلتْ مفاصلُ البحر.. وملأ الفضاء قصفا
غامت بعيني السماء.. هل أنالُ حتْفا
وخطوي الموءود لم يسعِفْ شباكي بعد
وطائر النورس لم يجيء في موعده..
- أنذرني البحر.. استقر تحت جلدي ملحه
ظمِئت..
قال: غاب الوطن القديم في جوفي
كما يغيب كلُ شيء.
فأدِر لي ظهرك الآن.. ولملم الشباك
واحملْها على الكتْفَين..
فربما جنيةٌ تُبعثُ من قلب الرمال لك
تقولُ: (شُبيك ولبيك..)
وربما.. تصنع من خيالها الوطن..

قلت: فقدتُ القلب في موجِك

من أجل الذي يغيب

وحرفتي.. أصيد في الماء ولا أصـيد فـي الصحراء..

- زلزل البحر بضحكِه الفضاء

غامت السماء

تساقطت فوق الرمال سحبا.. وموجا

- هل تَصلُح الشباك أن تصيد في البحر الجديد وطنًا!.

١٩٨٨/٦/٥

الْتِبَـاسْ

من يصدقُ من ..
من يكذب من..
النبوءات تأتي من البحر
والبحر لا يستقر..
والعباب الذي ثار من لحظة
يترك الآن فوق العيون الزبد
ثم يسرع.. يفلتُ من قبضة اليد..
....
من يصدقُ من
من يكذب من..
الذي قال بالأمسِ قولَته
أقبلَ اليوم ينكُر ما قال
- لون جديد على شفَتْيه
سواد كئيب بعينَيه
حِس خفي بكفيه

- الذي قال بالأمسِ قولتَه
لم يقلْها وسيفٌ يباغتُه
أو شظايا من الجمر تشطُره
- الذي قال بالأمس..
ما عاد نصلاً.. وصخرا
وما عاد للقادمين النبوءة
....
من يصدق من..
قال لي صاحبي- ورمال التواريخ ترسم عينيه -:
- أنت ترهق نفسك شِعرا
وتذبح نفسك قهرا
إن هذا الزمان الذي نقبضه
يحرق الآن أصباغَه..
يتسرب من فتحات الأصابع
- هذا الزمان غريب على الأزمنةْ
أترى الآن أشجاره
كيف تفقد أثمارها وهي تشمخ فوق الرمال
- أترى الآن فُرسانَه

يختفون وراء الحوائط كالنسوة العاقرات
- أترى الآن كيف يهم الصغار
وقد حملوا في الجيوب الحجار
- قال لي صاحبي:
إن هذا زمان الكبائر
هذا ضياع المصائر..
من يشرب الكأس.. ماتت لديه الضمائر
أترى الآن كيف تناثر بين الدروبِ الرفاق
تاركين على السفح رايتهم.. راحلين
تحطّ عليها النسور
ويجتمع النملُ
حتى تصير المدائن شائهةً
....
- رايةٌ فوق هذي الشطوط.. المدائن
كانت تجدد ذاكرةَ العربي زمانًا
ولكنها الآن غائبةٌ
ليتها غيبةُ العاشقين
ليتها امرأةٌ.. نفضت في الظلامِ ضفائرها

وانثنت نجمةً.. أو نُسيمةَ حلمٍ
إلى أن يجيء الصباح
فتلبس زينَتَها..
- إنها امرأةٌ عاهرةْ
خلعت في الظلام غلائِلَها
ثم ألقت أنوثَتَها بين دفءِ الرجال
إلى أن يجيء الصباح
فتخرج عاريةً
وتجاهر بالسرِ .. والضحكةِ الساخرة..
....
- من يصدق من
الرياح تصفر كالجرح
والرملُ منتفخٌ في العيون
ورائحةٌ من خلال التوابيت
تهرب منها العصافير
والأصدقاء على مفرق الدربِ ينسحبون
وصوتٌ من الغيب..!
....

لم يبقَ غير الصراخ الذي

ألبس الوهم

ثوب الوطن..!

١٩٨٨/١٢/٧

سُوْقُ عُكَاظ

أجلْ الآن هذا الحداء
تتوخى القوافلُ أن تتلكا في الظل
حتى يتم لقاء المحبين..
حتى أرى الشعراء يميلون نحو القباب
قُبيلَ الرحيل..
أجلْ الآن هذا النداء العليل
إنها السوقُ تنفض.. هل من سبيل
والقصائد تنزفُ أحرفَها في التلول
وثأر جديد يثور
وثأر قديم يزول..
أجلْ الآن هذا الصراخ..
إنها السوقُ مهد الحكايات
تعصفُ حينًا بفُرسانها الفاتحين
وحينًا تفاخر بالقاعدين
ولا شيء يبقى سوى دمعاتِ الصغار
- قِفا.. نَبكِ ذكرى الديار

ونبكِ انتظار النهار
وأوجاع من يرحلون
إن قيسا مع القاعدين
وليلى مع النائحين
ورزء جليلةَ ما زال ينبِتُ في الرمل
وردا.. وصفصافةً.. وأنين
وبين الخنادق ألفُ قتيل..
- أجلْ الآن ما سوف يأتي
وما سيكون..
أجلْ الآن هذا النواح.. وأوقفْ رياح الحنين
وحدق بأقدامِنا
بعيون الصبايا
بكل الجرار التي فَرغَتْ منذ حين
بالدماء التي لا تزالُ على صخرةٍ لا تلين
إنه الوجع المتوقد في العين
والهلَع المتجدد في القلب
والصلواتُ .. الفروض .. النوافلُ.. والسهو
والرعشاتُ بصدر الصغار المهانين

- لن يقبلَ ا   منا التبتلَ

والرقُ في السوقِ مازال نهرا يسيل

وأشجارنا تحتفي بالعويل

وسوطُ يهوذا

وحبلُ المشانق.. والقَهر

ينتظر القادمين

....

- كان في البدءِ هذا الكتاب المبين

كان بين يدينا ورود اليقين..

إنه اليوم تلعقُه في الخرابِ.. الكلاب

إنه اليوم بدء.. ودرب .. وأي انتهاء

أجلْ الآن هذا الحداء

وابدأ الآن سوقًا نجادلُ فيها طويلاً

بلا شِعر.. أو قافية..

نجادل بالبندقيةِ

بالسوط..

بالحجر .. الجمر..

بالسهر.. الصحو.. في فلواتِ الشتاء

....

لست أطلب حرب البسوسِ .. ولا صافَ الأغبياء

ولسنا نحارب من أجل ذيل بعيرٍ

ونعل حقيرٍ

وشِروى نقير

وصيحةِ فخرٍ بوجهِ أمير

نحارب من أجل ما ضاع منا

وما بيع منا

ومن جاع منا

ومن ...!

لست أبكي طلول الحبيبةِ

أو حصياتِ الدمن

أجلْ الآن ذكر المحن..

وابدأ السوقَ – لا تستمع للوصايا –

واسقِطْ جدار الوثَن..

قد مضى زمن الجاهلية – فوق الرمال ضحايا –

وكلُّ المفازات تنكر لون العفَن..

والذي في عيون الصغار

من القَهر.. والموتِ
والأمنياتْ..
يستحق الثمن..

١٩٨٩/١/١٠

شَظَايَا

كُتِبتْ هذه القصَائد ما بين

يوليو ١٩٨٩ – ويوليو ١٩٩٣

إلَيْكَ

- أيها القاريء المتململُ
فَرج خطوطَ جبينك
دع خلفَ ظهرك ما تشتهيه الرياح
ومدِد كما شئتَ ساقيك
مد شرايينَك الألف
إن دماء القصائدِ تنثالُ من جبهةِ الشعر
- لا تطلب البحر.! –
- يا أيها القاريء المتربص
خففْ من الغضبِ المتوارثِ
لا تطِأ الأرض مستنَفْرا
....
إنه الشعر..
مد إليك يديه..
فمد إليه يدك!

وَخْزُ الهَوَى

سواك .. لا طير.. ولا غزالْ
سواك .. لا شوقٌ.. ولا محالْ
كل التراتيل التي خلتها..
تُشعلني..
لا تملك الإشتعالْ..
وأنتَ مشكاتي التي أصطفي
تُضيئني وحدي بسحر الجمالْ
لا تخشَ إقبالي ووخز الهوى
فالعشقُ يا مولاي.. صعب المنالْ
وحجتي..
ألاّ يصح الهوى
بغير أن ترضى.. وألا تُطالْ.!

اللَهِيبْ

عن الشعر تسألني:

- من تُراها التي ألهمتني

أُطرز فيها القصائد

أجعلها نجمةَ العشْق والشوق ...؟

- أواحدةٌ أم نساء..

أمصرية أم وراء الحدود

أسمراء.. أم ..!

عن الشعر تسألني..

وهي تعرفُ أني مع الشعر أرضى احتراقي

هو السيد المتفضلُ..

سوطٌ بقبضته

ونعيم بساحتِهِ

وأنا دائما رهن نظرتهِ

وهو يمنحني ما يراه من الجمر

حبا .. وهما

ومملكةً .. وجحيما

- فلا تسألي الآن

لكن هِبي كل شيءٍ جميلٍ

ومري على أعيني الآن

ناضِرةً كالقصيدة..

قد يقبلُ السيد المتفضلُ أن يصطفيك لقلبي

ويغلقَ بابي

فتحترقين معِي في اللهيب!

حَيْرَة

تطالبني عبس أن أشحذَ السيف!

- أعطيتُ عبسا مواثيق قلبي –

فألقتْ على القلبِ ذُبيان نار الفجيعةِ

سددتِ السهم خلفي..

- بحثتُ لدى عبس عن وجعي.. ودوائي

قيل لي: لستَ منا.!

تضرجتُ في غُربة السيف..

علّقتُ قلبي على طرْفِه..

فتقاطر فوق الهواءِ الذي

بين عبسٍ.. وذُبيان.!

....

لم يعرفوا القلب..

فهل تعرفون..

إلى أي فاجعةٍ.. أنتمي!؟

الشُّعَرَاء

لم أكن آخر الشعراء
واللغاتُ التي انسكبتْ فوق هذي القراطيس
مرةٌ في المذاقْ!
كلُ شيء تأجج من صبوةِ الشعر
لا يقبلُ الإحتراقْ..
غير أني أرى الشعراء فريقين:
- واحدا في السِباقْ
(كل يوم يغيِّر جلدا
ويحرقُ في الليل كل البخور
يفُك وثَاقًا.. يشُد وثاقْ)
وفريقًا أسِنتُه الكلماتْ
(يتطهر بالعشقِ
يشحذُ عينيه بالشوقِ
يخترقُ الليلَ فوق براقْ)
....
فانظروا الآن يا شعراء الزمان

لأي الفريقين مِلْتُم...
وماذا جنيتُم..
واللغات التي انسكبتْ
فوق هذي القراطيس
تبدأ الإحتراق.!

المُهَــرِّج

جاء يبحثُ عن دورِهِ
فاستحال صدى..
واستراح على وهمِهِ.. أغْيدا
وارتدى
جبةً من نسيجِ الندى
فبدا .. هدهدا
وغَدا..
يوهم السفهاء بأن الذي في يديه
كتاب الهدى..
أنه جاء يصنع للشعرِ
جلدا جديدا...
ووجها على متْنه... أوحدا
(والذي قبل مقْدِمِه...
كان ثرثرةً... وقذى..
وصدى أسودا)
....

جاء يعطي مسيلمةَ العهد... والمحتدا
فبماذا تُراه يتيه.. غدا
حين يدعو الطيور التي انفرطتْ
فوق تلك الربى..
أن تعود إليه..
فتأبى النـ ـدا...
ويضيع الصدى!

اخْتِيار

- ليس عجيبا أن نفقد سر المطلقْ
أو تغرب شمس في غيم المشْرقْ
أو ندعو الشعراء إلى أمسيةٍ
لا نسمع فيها إلا الشعر الأخرقْ...
- ليس عجيبا
أن نشنُقَ فوق حبال اللغةِ ملايين الحكماء
ونُقسم أن الماضي.. أحمق..
فزمان تتنازعه الأقلام الباردةُ
زمان.. منسوج بخيوط واهيةٍ
وزجاجِ عيونٍ تبرقْ...
- ليس عجيبا
أن ننظر هذي الأرض تضيقُ علينا
وترى العالَم من ثقْبٍ ضيقْ..
فابحثْ عن رأسك
وانزعه .. من تحت نعال الأقدام
أفرغْ ما يتألّقُ فيه

في أنهارٍ عذراء...

أو.. فاستسلم

وادفِن نفَسك في مقبرةِ الضعفاء!

آهَــة

آهٍ..
لو كنتُ دخانًا في الفلك
أو غُصونًا غضةً لم تشتبِك
آهٍ.. لو كنتُ حماما يشتهي
خمرةَ البوح بأطراف الحلَك
آهٍ..
لو كنتُ واشحا يحتوي
جيدها
يا جيدها..
ما أجملَك.!

قَـدْر

- سأدوي باسمكِ

حتى تتوهج أزهار الصيفْ

حتى تتجسد بين يدِي ألوان الطيفْ

- سأغني باسمكِ

وأشُد الأوتار على عنقي

تنبتُ أطواقًا من سعف...

....

- أحببتُك:

لا أعرفُ في حبك معنى الخوفْ..

فانهمري ماشئتِ بأوراقي

سِرا .. أو جهرا..

بعض رمادٍ .. أو جمرا

قصفًا ببقايا وجعي.. أو عصفْ

- إني قدر .. موثوقٌ في عينيكِ

وعيناكِ..

قوسان من الصبوةِ والعنْفْ.!

هــي

زهرةُ عشق برية

أرشقُها في زاوية القلب

وأُخبئُها في رئتي السرية

أُطلقُ منها شمسي القدسية

- هي..

قسمةُ رب الحسناواتِ إلى قلبِي

جنةُ رب العشاق

إلى من ذاب فناء في الربِ

فاكهةٌ.. تتدلى قوسين

وتشبعني بالحبِ

- هي...

سفَري..

عودةُ خطوي الشارد

أشعاري أشرعتي

حبلُ الشوقِ الموصولُ

إلى ما بعد البعد...

....

- ماذا بعد تبقى لم ينطقْ باسمك

ماذا بعد ....

وماذا بعد البعد .. !

الثَّمَرَة

بين المطْهر والفردوسِ
انزلقتْ ثمرة...
أسرعتُ ألاحقُها
هربتْ مني..
قادتني خارج بواباتِ الصمت
انطلقتْ في عيني امرأةً
تنمو .. تتكور..
تُثمر .. تتفرع
تساقط وردا..
تدعوني أن ألقاها – وحدي –
أن أعصِر كرمتَها.. وحدي
أن أطفيء جذوتَها.. وحدي
- أدركتُ بأن الثمرةَ .. ناضجةٌ
حين هممتُ بها..
كان جحيم العشق يطهرنُا
لم أسألْ – لحظَتها –
لِم تُغلِقُ دوني الفردوس .. الأبواب.!

هِجْــرَة

هاجرتُ إليكِ وهاجرتِ إلي
وتعانقَتِ الخطوةُ والخطوةُ
لا نعرفُ أي الخطواتِ إليكِ
وأي الخطواتِ إلي..
- حاصرنا الشجر.. النهر.. البحر
الليلْ..
فأجبنا حينًا بالصمت
وحينًا بلسان نبي..
- الآن انعدمت كلُ مسافاتِ الأشواق
انسكبت سنبلةُ القلبِ على الأوراق
تفجر ملكوتُ العشقِ
بهذا السِر المطْوِي
ينطلقُ فراشةَ حلمٍ
وحمامةَ دفءٍ
بين يديك.. وبين يدي
- لا شيء هنا أكبر من حجم الحب بقلبينا
فالعالم موثوقٌ فينا بالحبل السري!

امْرَأة

امرأةٌ في ثوبِ النمِر
وأُخْرى في ثوبِ الذئبِ
وثالثةٌ أفعى..
وأنا راعٍ في بيداءِ العشق
تهش عصاي..
ولا أملك أن أجعلها تسعى
- شَتتَني النمر
وبددني الذئب
وعضتني الأفعى..
لكن الحب امتلك البيداء
ففرت عني النسوة
والليلُ انقشَعا..
أتوحد في اللالون
اللاّصوت
اللاّحلم
وأنقش في الصخر اللفظَ المتوهج

واللفظَ المسنون .. معا
فإذا راعِي البيداءِ نبيا
بين يديه:
يعترف النمر
ويبكي الذئب
وتخلُع مئزرها الأفعى
باسمك ناديتُ الآن
فتعالى يا امرأةً
يصنُعها الرب على عينيه
تحملُ مالا تحملُه النسوة
وأنا بين يديها.. أسعى.!

العِشْـق

أنتِ حين انقسمتِ على حافة الصمت
فجرتُ عينيكِ سنبلتيْن..
وساقيْكِ صفصافتيْن
ولون احتراقك شمسا..
وأنا..
حين أضرمتِ النار في داخِلي
كنتِ خمر احتوائي
وشعري
وأسطورةَ السفر المستحيل
فكيف إذا جئتُ أسألُكِ البوح
أنكرتِ حلم اشتهائي
وخمري
وشِعري.؟
أفي العشق يا قَدري
عاشقٌ مستبد
وآخر مستعبد بالعطاء.!؟

كِبْريَـاء

أخلصتُكَ العشقَ حتى كدتُ أنخطِفُ
وذبتُ وجدا ودوى في الحشَا لهفُ..
وقلتُ سوف تغنّى عند نافذتي
وسوف تزهو بذكر الملتقى صحفُ..
ودعتُ كل غزالاتي.. بلا أسفٍ
وقُلتُ حسبي يطفيء غُلتي الشغَفُ..
عسى تجيء كغيثِ الحلِمِ محتدما
دفئا وشوقًا.. فلا ذكرى ولا أسفُ..
لكنك اخترتَ دربا غير خارطتي
والدرب لم يك عن لقياك ينعطفُ..
ما بال قِلبك أهوى كل ساريةٍ
كانت بكل طريقٍ للهوى تقِفُ..
ما بال قلبك أشقى الحب منصرفًا
عن وجههِ .. وأنا ما كنتُ أنصرفُ
إن كنتَ تحسب أحلام الهوى انفرطتْ
فالحلم في القلبِ موثوقٌ به النطفُ..
فارحل كما شئتَ عني

إنني أَلِفٌ
لم تنكسر..
أو يبدد عودها تآفُ..!

الجُــرْذَان

وانتظر القوم الطوفان
ماوا وقْفَتَهم فوق الرمل
ملئوا غُرفَ الأفواه .. رياحا.. ورذاذًا
حلموا بالفُلْكِ القادم يحملُ من كل زوجين:
الإنسان .. الجرذان.. القرد .. القطُ
الكلب .. الثعلب .. والثعبان..
- حين انتبهوا من غفوتهم
كان الثعبان يعض الثعلب
والثعلب كان يعض الكلب
وكان الكلب يعض القطَ
وكان القطُ يعض القرد..
وكان القرد يطارد فوق الرمل الجرذان
والجرذان
تهم بنا مثلَ الطوفان.!

الزَّوَايَـا

أربعةً كنا على زوايا مستطيلْ
وحينما تقابلت خيوطُنا
أمسكها خامسنا في الوسط المستحيل
- هاجمنا اللصوص في أحلامنا
زاحمنا الليلُ
فأطبقنا الزوايا القائمة
صِرنا مثلثين منطبقين
من يومها ونحن في صراعٍ
من يفوز بالزوايا
لأن كل زواية
تكفي لواحدٍ.. لا اثنين!

الصَّـدَأ

- أعفَى قدميهِ
من المشْي على جمر الشارع
ومضى فوق جماجم موتاه..
- أعفَى عينيه
من التحديق خلالَ قلوب الناس
وتقافز مزهوا بين خُطاه..
- أعفَى شفتيهِ
من الكلمات – الوهجِ –
الكلمات – الصدقْ –
حتى انطفأت بين ثناياه
- أعفَى أذنيه
من الموسيقى – الحلم –
فاسترختْ شعراتُ الحسرة
خلف قَفَاه..
....
....
- كيف إذن يجلُو صدأ القلب

ويغني ثانيةً
شيئًا يهواه.!؟

السُّؤَالْ

حين ينتزع القلب ضحكتَه

من صخور الألم

حين تبرد في العين دمعتُها بالفرح

أتساءل:

- ما الذي يقلب الضِحك هما

ويرسم فوق الملامِح قيد الألم

....

القبور تنوح

القصور .. تنوح

الصبايا... الصغار

الكبار...

البحار .. تنوح

فمن أين يأتي الفرح!؟

العَرْش

قال قولتَه.. وانطفا
بعد أن كان في عرشِه المصطفَى
في عذوبته.. مرهفَا
في اللقاء.. هفَا..
في الوداع.. الصدى والوفَا
....
جاء موعده..
فتساقط من عرشه .. زخرفَا
لم تطُلْه العناقيد
حتى المواعيد
تُعلن في وجهه.. موقفَا
- ليتَه زين العرشَ نخلاً من الخِصبِ
مشكاةَ ضوءٍ من الحب..
- ليته أوسع القلب
حتى إذا قال قولتَه
ما انطفَا.!

صَدِيقِي

أصحيح أن الشعر يقطّع صاحبه
أبياتًا أبياتًا
وعلى جمر محمومٍ يشويهِ
ويطعمه الأفواه.. فتاتا
أصحيح أنا نستعذب أن تَحرقَنا نار الشعر
ونبقى فيها أمواتًا..
قال صديقي: هذا موتٌ كالعِشق
ينضِج جلد القلبِ إذا احترق
أو انتثر شتاتا..
قلتُ: كأني أدعو طيرا
تتفرقُ أضلعها فوقَ تلال الصمت
فتأتيني أصواتًا..
أو أني أقبض فوق خيوطِ الضوء
فتنمو أعوادا.. ونباتا..
- ظل صديقي يتحاور .. يتحاور ..
حتى شَرِقَ بنار الشعر
فتلوتُ عليه أبياتا

ورششتُ عليهِ

ماء من قلبي

فاستقبلَه في ملكوتِ الحلم ملائكةُ الرحمةِ

قالوا:

- ذاك شهيد الشعر.. فلا ذنب له

يدخلُ تلك النار لينضج قلبه

ويعود يفجر نبع الصمت..

فـُراتا.!

الظِّــلُّ

ظـِل العاشقُ يبحثُ عن معشوقتهِ

في وهج الصحراء

حتى التقيا..

فاشتعلا

واصطليا

- في ربوة ظلٍ حانيةٍ

خَمد العشقُ..

- لما خشيا أن يصبح عشقُ المعشوقين

رمادا...

جمعا – ثانيةً – حباتِ الجمر

....

- كان الليلُ يطارد شمس الصحراء

وريح الصحراء..

فانْتَبها..

واحترقا في الصمت

وماتا..!

الصَّهِيل

تُصهلُ الخيلُ..

ماذا يفسر هذا الصهيلُ

وماذا يقول..

وألف سؤالٍ – على ألف سيف – قتيلْ..

وجوع .. ثقيلْ

وسنبلةٌ قَزمةٌ . في الحقولْ

وقلب .. عليلٌ .. عليلْ..

وفي ساحةِ الجمر

طفلٌ تعفّن في دمهِ.. كالطلُولْ

تعانق في شفتيه الذبولْ..

....

فماذا يقول الصهيلْ

وكيف يفسر هذا البلاء الطويل.!

الغَابة

- دخلتُ يوما غابةَ الأسرار

حط فوق كِتْفِي .. الهزار

أسكرني..

حتى رأيتُ طائري الجميلَ

في هيئة الحِمار..

والنهر في المدى يلوذُ بالفِرار

- ساءلني الهزار عن عشيرتي

قلتُ له:

لعلني من عصبة الشُطار.

أو من رجال السحر

أو طيور الشعر

أو شيوخ الفقه..

أو جماعةِ الأحبار..

صاح الهزار:

سيدي

(غابتُنا لا تعرفُ المراوغة)

عليك أن تختار

أو .. دع لنا..
نحرقُ جلدك القديم
فتستحيلَ مثلنا
سِرا من الأسرار.!

تَأوِيلُ الأَحْلامْ

قال:

لا ترهقْ نفْسك في تأويل الحلم
فمن نام على جمر الشوق.. رآني
من نام على خمر العشق.. رآني
من يتكحلْ بالروع .. رآني..
من جدد في عينيه الدمع.. رآني
....
لا ترهقْ نفسك في تأويل الحلم
فمن يرني .. يصعد مركبةَ الشمس
من يرني.. يجن الثمراتِ بلا بخْس
من يرني..
أسكن عينيه.. وأغفر ذنْبه
من يرني..
أصبح يده.. قلبه
....

قلت: فمن يعصمني يا مولاي
لو لم أحـ ـلْم.!

مِزْمَـــارْ

- يا صديقَ المطر..

كيف لم تنتظر..

إنني لم أكن في الصدى أستَتِر

- يا صديقَ المطَر..

إنني أستَعِر

مر يوم .. ويوم .. وحلمي صور

والغد المستحيلُ انحني.. وانكسر

- يا صديق المطر..

إنني أعتصر

فلماذا اختناقُ المدى.. والقمر

ولماذا يطولُ السفر

- يا صديقَ المطر

كيف لم تنتظر؟

كيف لم تنتظر.؟

قَبُولْ

حبك قد بددني
في عالِمِ المستحيلْ
كيف أنال الرضا
وليس لي من سبيلْ
وقد فقدتُ الخُطى
إلا القليلَ القليلْ
متى أباهي الورى
بلحظةٍ من قَبولْ!

أَحْـــوَالْ

عاصفٌ كالريـح حينًا
جارفٌ كالسيل حينًا
في دروب العابرين..
مطفأٌ كالحزن في ظل العيون
....
تلك حالُ العِشْقِ في القلبِ
وحالُ العاشقين.!

مُسَافِرٌ إلَى الأَبَد

(إلى فتحي سعيد)

ضاقَ هذا المدى بالسـفر
وأراك على البعد لا تنتظر
إنها جمرةُ الشعر
تعرفُ أي اللغاتِ تحاورها
أي شوق تراوغُه
بالأسى المدخَر –
إنها جمرةُ الشعر
لا نستطيع الفكاك
ولا نستطيع الحذر..
نتوهم نسيانَها
- وهي غائرةٌ في النهى والبصْر
أججتْنا.. فكُنا القصائد
كنا الفرائد
لكن هذا المدى.. ضاقَ
والحلم.. ضاق

ولا شيء يسعفنا بالظفر

....

- سافِر الآن .. هذا القدر

دائما – قبلَ موعِدِه – يحصد الشعر والشعراء

ولا يعتذر

لنصير إلى كل قلبٍ

إلى كل عينٍ

حروفًا من الصمت

آفةَ عصرٍ شقي

سنابلَ ذابلةً

وبقايا خبر..

- سافِر الآن.. لا تنتظر

مِئْذَنـَة

تابعها الطفل بعينيهِ
حتى انْحدرتْ عيناه خلفَ قفاه
أفلتتِ الريـح تؤرجحها
استلقَى فوق الأرض
اتسعت عيناه..
هربت قافيةُ الألفِ الممدودة من إبطيهِ
تسلقَتِ المئذنةَ – تحوم باسم ا –
تَشّبثَ بالقافية.. الطفل..
اشتعلَ حنينًا .. حتى بلغ ثُرياه
احتضن هلالَ الشوق.. توحد
أصغَى
لا يبقَى من عالمه المفتون.. سواه
الطفل تضوء نجما بين هلال الشوق
يدعو من يمشي فوق الأرض
أن يصعد فوق القافية الممدودة
....
من منا يا أحباب .. يلبي دعواه.!

التَّمْثَال

في الساحة تمثالٌ للسلطان الكامل
يرجع تاريخُ صناعته للقرن المجهولْ..
وبه طاف الآباء .. النسوة.. والأطفال
صاحوا بالتكبير.. وبالتهليلْ..
وتلى أكبرهم صلواتِ الشكر
يؤرجح في يده قنديلُ..
- ذات مساءٍ صيفي
سئم التمثالُ بلادتَه الفولاذية
خلع عباءته.. وسعى بين الناسِ
يبشّرهم بالخير المأمولْ..
- أمسكه العسس الليلي
متهما بالعرى الفاضح..
وبغير محاكمةٍ عادلةٍ..
ساقوا السلطان الكاملَ
مصفودا في موضع تمثاله
وغدا السلطان المقتولْ!

الهُدْهُدْ

لام سليمان الهدهد
حين استبطأه في رحلِتهِ الأولى
أنزلَه عن عرشِ حجابتِه
واستحضر عفريتَ الجِن
- كان العالم مخضوبا بالحناءِ
وكان اليم كتابا منشورا
والصحراء رؤى.. لا تهدأ..
- لكن الهدهد كان يرى دنياه شرنقةً باردةً
لم يفلح لما نقرها
أن يفتح نافذةً يقطُر منها دمع التوبة
....
- كسرت بلقيس حصار الهدهد
حين اتخذته حاجبها الأوحد فعفا عنه سليمان
من أجل عيون مليكتهِ الحسناء.!

الجَدِيدْ.... !

يزهو عنترةُ بسيفه

تزهو هند بكِبِدِ الفارس

تبكي عائشةُ حديثَ الإفك

وأنا...

أبحث عن نبأٍ ..

أُلبِسه ثوب الدهشة

وأعِلّقُه فوق الأشرعِةِ إلى أقصى العالم

تأتيني حصياتٌ من أبناءٍ خامدةٍ

مقتولة..

ألقَفُها.. تلمس كفي.. تذوب.

ويبقى عنترةُ

وهند

وعائشةُ

ويبقى لَهفي أن أُفرغَ في جوفي

قنينةَ حلْمٍ آخر.!

أسَاطِيـرْ

انصهرتْ صخرةُ ليلى

فاشتد القلب .. امتد

غدا نسمةَ لحنٍ طازجةً.. وهدايا ورد

احتد على من يرسم في خُطوته الحد..

شد إلى العشاق المهمومين

حابلَ الود..

طار على شجر الصفصافِ جوادا

يطوي زمن الصمت

وزمن الفقد..

حط على مئذِنة العشقِ النابتِة

حماما

وحكايا

....

- أتسللُ أحملُ فأسي الآن

أحرر أعناقَ العشاق

وأكسر أعتى قيد..

أحشرهم تحت لوائي

ولوائي.. زهر الصبار
وسعفُ النخل
وأعواد بخُورٍ
ودفاتر موسيقى
وغزالاتٌ شاردةٌ
وسفائن مد..
- عِشقي يأسِرني الآن
فألقاني مجنونًا في غابات النغمِ العلوي
مزاميري.. أمنحها الطير الغجري
وأغشى السدرةَ تغشاني
يغمرني عسلُ العينين الظامئتين
فأخطو.. أغرقُ..
أعبد هذا الألقَ القدسي
وأرتد..
لستُ مسيلمةَ
ولستُ الفارس دون سِلاح
لست الضارب بالسيف طواحين الوهمِ
بلا قصد

لكني أخترقُ طقوس العتمة

أُطلق حجرا أزرقَ يحميني من حسد العينين

وأدق بتابوت الصمت..

مسامير العرس الآتي

وأعلق زيناتٍ من شُريان القلب

فتأتيني واحدتي فوق المركبةِ الملكية

ألقَفُها بيدي

أحملُها فوق الصدر

أحاورها.. وأعانقُها...

....

- لو تأخذنا سِنةٌ من نومٍ

نصدأُ...

لو يخمد في داخلنا الشوقُ المتوهج

نصدأُ..

لو كفّتْ أحرفُنا لحظاتٍ

نصدأ

نختصر العالم بين يدينا

نحيا عمقَ اللحظةِ عشقًا.. وفناء

وجراحا راعشةً
نكتب أسطورةَ عشقٍ
لم تُكتب بعد!

صَـرْخَـة

يدرك البحر
كيف يثور على الراية القاتمة
تدرك الطير
كيف تنقر صمت الصخور
وتلتقطُ الحب .. والرحلةَ القادمة
تدرك الشهب موعدها في الهبوط
وموعدها في الصعود
وتدرك كيف تقطر للعاشقين
حكاياتها الهائمة.!
- أيها القلب..
يا من تُحطم كل مساءٍ قيودك
كن جمرةَ تشْحذُ الحلم
تعرف كيف تسل المواعيد من قبضةِ الصمت
إنني أريدك كالبحر..
كالطير
كالشهب الراجمة
أريدك

تكتب للعشقِ ملحمةً دائمةْ.!

خُـدْعَـة

يخرج "عمرو"
يطالب بالثأر..
يملأ جعبته بالجمر
وتراوده أحلام السكر
حين أوتْه الزباء بعينيها
رشت ضحكتَها دفئًا .. ورياحين
- أدرك عمرو جريرتَه
طاف بعينيها.. يطلب صفحا
لكن "الزباء"..
كانت سنبلةً شاردةَ تصعد
في عري الصحراء
تُخمد صيحاتِ الثأرِ العربي.!

اعْتِرَاف

ما بين فمي والكفين
مسافاتُ طعامٍ ..
وسلامٍ ..
وحوار..
ما بين القطبين .. نفور
ولهيب
وحصار
تلتف على عنقي أفعى
لا أدري من غذاها
أو أطلقَها
تصعقني بالسم وبالنار..
لكن .. ما أُدركُه الآن
أن الوجه العربي استلقَى فوق الطين
فاسود
وارتد..
وافتقَد ملامحه في وجع الإعصار.

وانغرستْ في قلبٍ القَلب
أسئلةٌ لا تهدأ ..
يجرفها لهيب التيار.!

البَدِيل

زمن مستحيلْ
ولون الحروف .. عليلٌ
عليلْ
وقُبرةُ الحلمِ في عشّها المستكين
فهل يعلن الشعر هجرتَه الأبديةَ
أم يكتفي بالقليلْ..
وهل ينهض القلب من كبوةِ الصمت
أم يكتوي بالذبولْ
- زمني .. مستحيلْ
وكل الذي يلهم الشعر.. يا صاحبي..
منهك .. وكليلْ
والرياح تجيء بغير الذي نشتهي
والبديلُ.. ثقيلٌ
ثقيلْ
زمن مستحيل..
فأي القصائد – يا صاحبي – الآن
لا تستحيلْ.!

قِراءَة في وَصَايا الشُّعَراء

حسبك..
لا تكتب شيئًا هذي الليلة
ترتعشُ الآن الأسئلةُ
فتصهلُ أحصنةٌ
وتفر غزالاتٌ
تهوى مئذنةٌ
تصرخُ شرنقةٌ تعلن موتَ الأشجار..
- كان الفرسان العشاقُ يطوفون علينا
كل مساء..
- كانوا يشتعلون قصائد
يحترقون.. مواجد
يقتسمون مواسمنا الخضراء
كانوا يلقون إلينا السمع.. وكنا..
يحتملون إلينا القَهر .. وكنا..
يخشون علينا الشعر .. وكنا..
- يوما .. داهم أسوار مدينتنا السفهاء..
فر العشاقُ الفرسان .. وغابوا.!

ساعتها صِحتُ .. فما استمعتْ ُأذُنان
غنيتُ.. فلم تصغِ الجدران
كان الشعر بحلْقي جمرا
ووصايا الشعراء.. دخانًا..
صاح الصوت الغائب:
احملْ عني هذي الأوجاع.. ولا تهرب
جرب..
فالشعر طويلٌ سلمه..
لا تتهيب..
لا تستسلم.. وتأهب.!
....
الليلةَ .. لن أكتب عن أحلامِ الشعراء
تلك وصاياهم تساقطُ فوق النّطْعِ ..
رفاتًا
لا تُبقي فينا غير الدمع المخنوق بحبل الصمت
لا تُبقي .. إلا ظل الموت.!

الرُّؤيَـــا

صاح: يا ولدي

(لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك!)

قلت: تُحرقني نار الرؤيا

تُطلق نَسرا لا يملك أجنحةً

شجرا لا يطرح ثمرا

شلالات مياهٍ مالحةٍ تخطيء مجراها

....

ويواعدني شيخي في خَلوته

- لو أصمت عن بوحي –

وأظل أُسامِر ليلى بقصائد طازجةٍ

تحمل للعشق تقاسيم

وللوجد.. ترانيم ..

ويرقُبني الإخوةُ من خلفِ ستائِر شُباكي

أقسم إني أحــلم في جب الظلمة

....

لكن الإخوة – كل صباحٍ – يوشُون:

أن فراشي في الليل...

كان الملكوت الفِضي

وكان السرمد ..

والمسجد ..

والمعبد .!

....

- أفتوني يا عشاقَ الرؤيا في رؤياي

في طرف لساني .. بوح.. وظنون

وعلى جيدي .... سيفٌ مسنون..

وأنا ... أخشى أن تخطئني الرؤيا

فيفارقَني هذا الوجد المجنون!

الوَجَعْ

- ماذا بعد.؟
وأنا أشهد كل الأوجهِ تتلون
والعجز على الأفواه يدمدم
ودماء السهرة فوق الأثواب..
- ماذا بعد.؟
هل آن لقلبي أن يرتاب
ويكذب ما كان .. وما غاب...
ويصدقَ أن سلام القلب
أصبح مسفوحا بالأنياب..
- ماذا بعد.؟
وأنا أتلفتُ خلفي ليل نهار
وأشد الجلد على شُريان العار
أوصد أبوابي.. وشبابيكي
لا أسمح للنور..
ولا أسمع للجار
أتأبط سكّيني في صحوي..
في نومي ..

أشقَى في دائرةِ حصار..

- ماذا بعد.؟

هل حلّتْ لعنةُ فرعون الأولَى

أم حل الهم..

هل تنتظر الأقلام القصفَ

وتنتظر الأوراق العصفَ..

ونرضى في دنيانا زم الفَم..

....

تعالواْ يا شهداء الكلمة

- أحياء ... أمواتًا -

هذا زمن الوجعِ الدامِي

يعلن محنَته الآن..

فاختاروا .....

اختاروا أن تَحيواْ زمنًا آخر ..

أو ....

فانكسروا عجزا فوقَ الأعناقْ!

بُكائيَّة

[إلى سراييفو]

- أحد .. أحد
ما من أحد ..
في الصور ينفخُ .. أو يعيد الوجه
من لون الكمد..
ما من أحد
آلى على جفْن الدماءِ
وجاء ينجز ما وعد..
والعين تشهد .. والقلوب
والصلواتُ تُـ ذبح فوق رملٍ يتـ ـقد..
ومآذن كسرتْ أذان الفجرِ
فانعصرتْ شُموس
قطّرت آلامها فوق الزبد..
- الحلم كان.. ولم يعد
- والصمت يخرس قادةَ الدنيا
ولو صاحت بقلبِ الليل عاهرةٌ
لهبوا ...

- إنه صوتٌ الجسد! –

- أحد .. أحد

لبيك .. يا صوتًا يبح على حناجر لا تُعد

- ما من أحد ..

يبقيك فوق مآذن الإيمان غُصنًا ينعقِد..

- فرسان هذا العصر.. مأجورون

يوما لليسار ..

ويوم يغريهم يمين.. يهرعون

فما الذي يبقى لتعرفَ من عدوك من صديقك

من تَرى فيه السـند !

أطفالٌ هذا العصر مسفُوحون

لا يدرون من آباؤهم

أوطانُهم

يا ضيعةَ الدفءِ المجنّح .. والولد..

كُتـاب هذا العصر منهوبون

هم يطلقون بخُورهم في كل روايةٍ

وضائقةٍ

ويشيدون بروجهم

فوق الجماجمِ .. والحمائم..
يشعلون حرائق الدنيا ويجنُون المدد
حكام هذا العصر .. مقهورون
فوق المسرحِ المرسومِ
أدوار .. وأرقام
عقاب.. أو حِمار .. أو أسد
- أحد .. أحد
ويلاه.. حتى ما نَخالُ من الصدى
لفّته ريح الليل في كفنٍ
وألقته ذليلاً .. للأبد..
- اليوم نبكيه معا
أم أننا نبكي انطفاء النور في دمنا
ولون عيوننا المقهور
والقسم القديم وقد جمد
- أحد .. أحد
ما من أحد
يصحو من السكر الذي أدمى القلوب
فأصبحتْ فينا البدد

ما مِن أحد
ما مِن أحد!

الأسْئِلَة

(نحن .. وهم)

- أنسقطُ أم يسقطون

أنُقتلُ.. أم يقتلون

أصيد ثمين غَنِمناه..

أم أنهم صائدون ..

- ترُى.. كيف تحضن عيناي كل الحدائق

حين اختفى الياسمين

وكيف تظل السماء خَلاء من النجمِ

ثم نغنّي لها حالمين

وكيف تموتُ المواسم حين يجيء الحصاد

ونلعن وجه السنين..

- أوجه كئيب نطارده.. أم جنون

ونجلس حول الموائد..

والحلم منكسر في العيون..

فَطَورا نبدل لون الحِوار

ونلبس ثوب الوقار

ونعلن أن السلامةَ أمر يسير

وأنـا لها مالكون..

وطَورا .. يضيقُ علينا الحِصار

فنذكر أيامنَا بانتصار

ونفخر أنا الملوك .. وأنا البطولةُ

أنا هنا الفاتحون..

....

- أنَقْدِر.. أم أنهم قادرون

- أنملك مثلهمو أن نكف اللجاج

وثرثرةَ الليل حول الذي كان . أو ما يكون

- أنملك مثلهمو أن نُحيلَ الحروفَ رصاصا

وندرك أن قليلاً من السم

لا يصلح اليوم فينا البطون ..

أنقدر أن نتناسى الحكايا القديمةَ

نمحو ما حدثت شهرزاد

وننسي سليمان والجِن..

ننسي طيور الخرافة

ننسي الأفاعي.. وما كان من سندباد..

- أنقدر أن نتخلص من حِكَمِ الصالحين

ومن صلواتِ الأنين..
ونعرفَ أن الذي شاء أن يعبد ا
لا يعبد ا كالعاجزين..
هل يري الحكماء .. وهل يدركون
أهو الجوع قبلتُنا.. أم هوى الحاكمين
أهو الوطن المستباح
تموتُ العصافير فيه.. نُغني!
وتجري بأنهاره كل يومٍ دماء .. نُغني!
وتُشنقُ فيه الحلوقُ .. نُغني!
- أنسقطُ أم يسقطون
أنقدر أم يقدرون
وهل سمِع الشعراء .. وهل يدركون
- قدر أن نعيشَ..
قدر أن نهون.!

الذُّهول

- آه لو تدرك الخيلُ
أن الصهيلَ احتجاج
وأن احتجاج الخيول مصاهرةٌ لاشتهاء الرحيل
- آهٍ لو تتأنَى الكلاب
لتدرك أن النُباح يعيد النبوءةَ
من ليلها المستحيل
أن بلادي مظلمةٌ
والطواويس مقبلةٌ
والخرائطَ مجهضةٌ
والبيوتَ طلولْ..
صوتُ من يضحك الآن
صوتُ من يحتويه البكاء
وكلانا سواء
سقطتْ كلُ أسناننا
وشحذنا السيوف لنغمدها في قناديلنا
ونصم عن الحب آذانَنا ثم نبكي جهالتَنا
نكتفي بالذهولْ

أينا قاتلٌ.. أو قتيلْ
أينا شائه .. أو جميلْ
أينا شامخٌ.. أو ذليلْ
الدماء جهلنا منابعها وامتداد النسب
ليتنا ندرك الحلم..
أو نقترب..
ليتنا كالخيولْ ..
ليتنا نركب المستحيلْ!

استراحـة

هو المحارب استراح فوق رمحه
يلتقطُ الجراح.. والرياحا ..
مازال يلبس الخوذةَ والسلاحا
ويشعلُ القلب عنادا
يعصر النجومِ في يديهِ..
يكسِر النصلَ على النصل
ويثخَن الجراحا
....
مازال جمر الشعر داخلي
وخمرةُ الكئوس تقطر الندى المباحا
مازلتُ أُشعلُ المطر ..
أحيلُ بحر العشق أدمعا .. ونارا
أمنحه العرائس الملاحا
لكنما البحر استحال جزرا
تمردت أمواجه.. وسافرت جِماحا
حتى الرمالُ فوق شطـه القريب
ظلّت على عشاقها.. شِحاحا..

فكيف بعد أطلقُ الجناحا

يأسر ما غاب..

وما استراح خلفَ غابةِ الليل

يحطم الأقداحا..

....

الآن.. أستريح برهةً

ألتقطُ الجراح ... والرياحا

لكي يظل داخلي الوهج..

يشعلُ في أوراقي الصباحا

يفجر الصمت القديم

يشحذُ النصلَ بقبضتي

ويطلقُ الرماحا.!

الزمانُ العَصِيّ

أريد من زمني هذا يبلغني

ما ليس يبلُغُه من نفسِه الزمن

(أبو الطيب المتنبي)

الشِّعر

سكرةٌ .. أم جنون
أم أراها الرياح تُزلزلُ
شوقَ العيون..
وتزرع في الرمل نخلاً
وفي البحر أشرعةً
وبقلب الصخور.. غُصون..
أقرأ الآن سفر الزنابق
يمتشق الآن بين يدي
النهار الجديد..
ويخترق الجلد أسطورةً
وتضيقُ الشوارع
تُطفيء كل القناديل
إلا اتقاد الجفون..
أيها الشعر ماذا دهاك..
أيها الشعر .. تلك الحصون
تتزلزلُ بين يديك..
وينهمر الغيم خيلاً

وملحمةً من جنون
فلماذا ارتضيتَ البقاء
على جانب الدربِ
ترصد ما قد يجيء
وما لا يجيء..
أكذا أيها الشعر تعجز عن لغةِ الحب..
لا أرضي أن تهون!-
والنهار تَفجر شمسا
وخصبا
ووشما على الصدرِ
وشما على الكفِ
فوق الجفون..
اخْترقْ أيها الشعر تلك الحصون
وشيد من الآن أهرامك المستحيلة
ظلالٌ بها العمر..
ظلالٌ بها العمر ..
ظلالٌ بها ساحةَ العاشقين!

صفو

ظبي إلى حرمِة العشاقِ

ينتسب..

رميتُه..

فانتحى.. يبكي .. وينتحب..

ألقيتُ سهمي..

وأعلنت الوفاء له

فلامني..

والهوى في القلب يضطرب..

فقلتُ: عذْرا

حباك ا   نُصرتَه

فكنتَ لي نعمةً

تصفُو .. وتنسكب..

يا حسن ما سرقَتْ عيني محاسنها

وسرقةُ العين لا يجدي بها عتَب..

الحد يقطع أيدي السارقين

وليس.. يملك الحد

قطْ العين .. أو يجب.!

المـَأوَى

عمرا من الوداع واللقاءِ
لم أغادر فيه مأواي
الذي احتواني داخلك
عمرا من الصقيع والدفءِ استحالَ فيك الحب
نارا واكتمالاً.. وسنَى.
البحر في صدري أشقُة نصفين:
نصفًا نقشْتُ فوقه قصائدي
ونصفَه الآخر.. سربلك
وفي نهاية الموج أرى الميناء دلتا
وجهكِ الحبيب في لقاء حديها .. فلك..
لبيتُ ما دعوتِ.. حتى صار بيننا الحوار
قنديلاً ينير في الحلك..
معا نُجسد الحلم الذي غاب طويلاً
في الشعابِ والحلك
ونزرع اللوتَس والنّوار
لا نغادر المأوى..
ملكيتي أنت.. بقلبي

وأنا منك المآك!

١٩٩٢/٩/١٩

الفراشة

أمتطِي صهوةَ النار حين أُحدثكم
أصدقائي
وأراكم بزاوية من زوايا النظر
- حين تَنبشُ أظفاركم رحِم السر
تنتزعون جنينًا
ملامحه من ملامِحكم أيها الأصدقاء
لكم من همومي انتمائي
تشيب بكم طفلتي
ويلذ بكم ظمئي.. وارتوائي.
وأخبيء دمعاتِكم في بكائي
- الفراشةُ!
من أجلكم أفقد النطقَ والسمع
أبتلع النار.. أرضى احتضاري
- انتمائي إليكم
فلا تحرقُوني على أحرفِ الصمت
إني أعانقكم – بانْصِهاري!

١٩٩٠/٣/١٥

توجس

لِلغاتِ مفاتيح

أبواب .. ألوان

خارطةٌ.. ومدائن

وبقارورة القلب عيناك

سِران..

عرسان

كلُ اللغاتِ الجديدة

أي شادية حومتْ في ظلال المدائن!

أي غيثٍ يزغرد في القلب

يغسلُ كل الضغائن..

لملمِي الآن أطراف خطوي الشريد

اسرجي الخيلَ..

فُكي وثاقَ الرهائن..

في يديك المفاتيح

والقلب حصن

وعيناكِ.. عرسان..

والليلُ...

- يا ضيعة العشق حين يخاصمنا الليلُ
يلفظنا من جحيم المداخن!

صُراخ الصَمْت

(إلى الفنان أحمد شيحة)

صامتًا عدتَ

تشرب نيلَك ثانيةً

وتُقلّم سعف نخيلك

تنحتُ قلبك

تغرس عوسجةً في هشيم القبور

أترى.. عودةَ الياسمين

أم تراها الصخور..

بين كفيك تسكُن مثلَ اليمامةِ

تقرأ فاتحة الحلم

تنثر كل البخُور.

- هكذا نلتقي الآن

أي رحى يا صديقي.. تدور..

زمن للصراخ

وألف زمانٍ يقيد صمت اللسان

فهل رعشةُ اليد تُفلح يا صاحبي

أن تمد الجسور..
بيننا لغةٌ تتحدى غيوم الزمان
أمسكِ الآن سيفَك
إن يدي السيف..
لا تُغمدِ القلب يا صاحبي
أشعل الآن عينيك
ما بين ليل.. ونور..
النسور على قمةِ الليل ترقبنا
هل تود النعاس
فتنفض تلك النسور
وتنهشَ لحم الحروفِ
وتشرب من قصباتِ النحور..
- أطلق الآن حلمك
إن القناديلَ مطفأةٌ
وعلينا احتدام الفتيل..
علينا اكتمال الخُطَى
في الزمان القصير!

١٩٩٣/٦/١٢

السـر

- ينبؤني الموج أن عيونَكِ
سوف تبوح..
وأن العصافير سوف تسائلُها
وعيون المها ستعانقُها في السفوح..
وأن زمان التوهج
سوف يفض أساطير صمتكِ
من عصر نوح..
....
ينبؤني الموج
أن المليكات في اليم يرصدن عطركِ
يصرخْن في وجه أشرعةِ الليل..
يسألن: ماذا بشطيكِ أنضر
يندبن وهم الجروح..
- تجهلُ الآن كلُّ المليكات
أنك قابضةٌ برقابِ العباب
وأنكِ حاضرةٌ في الغيابِ
وأنك..

- مثل لهيب القصيدة-
مولعةٌ بالجموح!

المسافة

لم أتخذْه صاحبا..
لكنني أرخيتُ ما بيني وبينَه
مسافةً .. وجانبا..
وحينما التقينا فجأةً..
رأيت عرض الأرضِ والسماءِ بيننا
رأيت أمطار الشتات أغرقتْ لقاءنا
ويومها..
نزعتُ غُصةَ الوهمِ التي تُثقِلُني
ورحت أحرقُ الأشجار في الطريقْ
أجعلُ المسافةَ التي تفصلُنا
عمرا من الصقيع.. والبروقْ..!

جفوة

أطلقي الآن نهركِ
يوشك أن يخْنَقَا
والحمام الذي ظل تلفَحه الشمس
يوشك أن يحرقا
لملمي الريـح .. والسنبلاتِ
وخِصب الحكاياتِ
ورد الرياحين..
كلُ الذي قُيد الأمسِ
يحلُم أن يطْلَقا
سفر أنت
والقلب عندي جناح
وكفّاي ورد المطاراتِ
أخشَى على جذْوةِ الشعر أن تخْفِقَا
ذاك جيشُ الجرادِ على جبهة الليل
منتظر
يتحين غفلةَ أعيننا..

نهركِ الآن – بين يديك – اختيار
وكلُّ المسافات بيني وبينكِ
تشتاقُ أن تورقَا..!

انطفاء

كَفَى .. كفى..
تقطعتْ أوصالُ هذا الحبِ.. وانكفا
وراح مغشيا عليهِ
والوجيب حوله.. غفا..
فمن يعيد للغزال خطوه الرشيقَ
من يعيد شعلةَ البوح
وكلُ ما كان يشف بيننا.. اختفَى..
القلب مشطور..
عليكِ وحدك الآن تعيدين الذي انطوى
كان الذي ما بيننا نهرا من الياقوت
مثمرا.. وطيبا
فغام .. وانطفا
كفَى .. كفَى ..
ثمار هذا الحب حصرم
والشعر قد تبدد الآن
رؤى.. وأحرفَا

فانطلقي الآن لأي حقلٍ غير ساحتي
فكل ما يشفُّ بيننا
اختفَى!

هوس

شاهدتُ غريمي يجذبها من مِرفِقِها
ويسير بعيدا..
كان يسِر إليها أمرا..
ويحذرها من هوسِ الشعراء..
عادت لي تشكو وجعا في القلبِ
ووقْرا في الأذنين
قلتُ لها:
هوسِي بعيونك حمد للوهابِ
وشكر للآلاء..
هل أملِك أن أعطيها ظَهري

أو أعصِى ربي كفرا بالنّعماء..!

....

نزعت صاحبتي من أذنيها طمي الخوف

ألقته في وجه غريمي..

صاحت: عفوا..

لن يرحمني ا ..

إن أوقفتُ النهر عن الجريان

أو آثرتُ العِصيان!

ثلاثة أصوات مدببة

الصوت الأول:

لا تسألني عن ماءِ العين
فالماء بكل الأشياء
ماء .. في الصخر
وماء.. في النهر
وماء .. في البحر
وماء .. في التـل
وماء في السهل
وفي عيني.. ماء..
فلمن أشكو وجعي
حين يفيض الماء
ويحل الطوفان!؟

الصوت الثاني:

حين يضيقُ العالم في عينيْ
يصير الحجر الأصغر.. طودا
والطود يصير بعينْي.. غيما

والغيمةُ .. أفْقًا..

لكن سماء المهمومين

حينًا تغدو حلما ونعيما

حينًا تغدو وهما وسموما

لا فرق لديهم بين الظلمةِ والنور

بين الطاعة والعصيان

بين النجم إذا يشْرقُ أو يغرب..

....

الكل سواء في نكبات القلب!

الصوت الثالث:

قفْ !

لا تقعد.. أو تستَسلِم

عشْ ممتشقًا في أقدامك

فإذا بتروا ساقيك

قفْ..

قف فوق يديك..

فإذا شُلتْ.. فعلى رأسك قفْ

فإذا انفجر الرأس شظايا

قف – يا مقهور – على ظهرِك
فإذا كسروا الظهر
فابحث عن قوقعة أو شرنقةٍ
أو كهفٍ مهجورٍ..
وتخلص من هذا الإنسان !

غياب

للطير مواسم هجرتِهِ
للنيل مواقيتُ الفيضِ
وللإبحار مواسمه
لكنكِ يا سيدةَ الماءِ
فقدت سنابلَكِ الخيرةَ
شكوتِ شحوبكِ للطيرِ
وللنيل..
وللبحرِ..
فأعطوكِ جواز السفرِ إلى شطآنٍ أُخرى!
وماذا عنّا
ماذا لو نصحوا أن نبحثَ عنك
فنلقاك على شفَةِ الموج
دموعا مالحةً
وحماما منكسرا
ماذا لو نلقاك بقايا ذاكرةٍ
في قاع الصمت..
ماذا عن هذا الموتّ!؟

العرسِ الدَّامي

صعد الشيخُ الأكبر مِنبره
يوم الجمعة..
أمسك طائره بيمينهِ
وطوى في يسراه سحاباتِ الغيث..
قَطر عرس القلب
وفَرح العينين
ولوح بالكفين..
وابتهل إلى رب الملكوتْ
أن يحفظَ زائرنا الأعظم
ويديم لنا خصب الشطين..
نسِى الشيخُ الأكبر فتواه عن المحزونين
المذبوحين..
المصلوبين على أرصفة الميناء..
حين وقفتُ أقاطعه.. أسألُه عن فتواه
ساق العسس إلى قوافلَ زائرنا الأعظم
تتهادى في الحلل الذهبية

وبداخلها زمن مصقولُ الحدْ
وفتاوى داميةٌ..
كاملة العدْ!

كان

شجر الحلم ينبتُ في مضجعي
والفراشاتُ.. ترقص .. تلعب
حتى إذا بدأت شهرزاد حكاياتِها
سكَنَت في حِمى إصبعي.!
طَوفي .. شهرزاد..
بنا شغفٌ للهوى الممتع
كل شيء هنا قر في مسمعي
كل شيءٍ نأى.. هش في أدمعي
كان هذا زمان الهوى المولع
ثم هبتْ رياح الأسى الموجِع
جف في مضجعي
شجر الحلم ... واحترقتْ في الحكايا الفراشاتُ
صارت رمادا يسود لي إصبعي!
أتساءلُ .. يمضي السؤالُ..
ولا يهب الخطو للزمن المسرع
قيل لي بعد أن بح صوتُ الحروف:

اتـئد ...

إن هذا زمان تخثر..

حتى استباحت ثراه الأفاعي

وبثت لغاتِ المزابل

أزهقتْ النور في صفحات المشاعل..

كيف يعود الصدى..

كيف كيف يعود الصدى بالهوى المولَعِ!

سؤال

ما بين العين
مسافاتٌ .. ورؤى غائمةٌ
ولغات..
ما بين الكفين
صحارى.. ومدى لا يتوقفُ
وشِكاياتْ..
ما بين الماضي والآتي
أطفالٌ .. وحشاشاتْ..
....
هل من أحدٍ يخبرني
عن أرضٍ.. لم يزهقْها خطو
وسماءٍ..
لم تُرهقْها زفراتْ!؟

اعترافات عاشق

(إلى الإسكندرية)

تقومين من ليلكِ السرمدي

عروسا

ومعشوقةً

ومطاردةً من زمان المحن..

قيل: كلُ النساء يشاغلْن كل الرجال

فيشْهرن فتنتهن

ويسقطن أعمارهن

ويبعثْن من ظلماتِ الزمن

لكن معشوقةَ القلبِ ليست ككل النّساءِ..

اشتياقُ العيون .. قديم

ولون الشفاه.. قديم

وهذا الشراع الذي سكَن القلب..

لم يمتهن..

قيل: تكثر عشاقُها

تتعدد أسماؤها.. وعناوينها.. ومنائرها
كيف تعرفُها بين تلك المدن؟!
قلت: في يدها خاتَم الملْك
في بحر أعينها الفُلْك
في كأسِها.. يتناهى الزمن..
إنها ظبيةُ العشْق.. والشوق
أذكر لُعبتها المشتهاةَ
أعد أناملَها.. وأخطُّ عليها الحكاياتِ
أذكر دمعتَها..
والأغاني التي حين أنشدها في الصباحِ
تُجدد شمس ابتسامتها.. فأُجن..
ثم حين استوى العود
واحتدم الخَصر
وانْسدلَ الليلُ
واستعر البرقُ
أقبل من زبدِ البحر من يطلب العشقَ
كان لسانًا من الملحِ..
سيفًا من الجرح.

كان يخطو بهدبيه بين يديها
وينثر أحلى اليواقيت..
كل الثمن..
ساءلته عن الحلم..
قلت: أنا .. وطني في عيونِكِ
حين يعز الوطن..
وأنا.. قِبلةُ القلب صوب جبينكِ
حين تهب المحن..
وأنا.. الملْك والصولجان بكفيكِ
حين أريد السكن..
....
أقبلت طفلةُ الحبِ هائمةً تملأُ الكأس لي
إنها الآن تُقبلُ من ليلها السرمدِي
عروسا..
ومعشوقةً
وأنا.. في هواها ُأجنْ
في هواها.. ُأجنْ!

رِسَالة في القُرْب.. والعُتْب

لم أكن بالغًا منك غير احتدامِ المواعيد
غير انفراطِ المواجيدِ
غير السكن..
فلماذا انصهرتِ شظايا على أول الدرب
والعشقُ يقضي بأن التقاسم في كل شيءٍ
يلم الجراح، .. ويشْفى المحن..
أي قُرب تريدين..
قُرب السلامةِ والدفءِ
عافيةً في ضلوعي..
أم قرب من يهب العطفَ والخوفَ
حين تشق الرياح قلوعي..
والحب يقضي بكفين
كفّ عطاءٍ.. وكفّ شجن..
أترين الملام يسيرا على النفس
حتى أراني أطيره نحو عينيك
أم أن في وجهك الآن صمت الملامح

في وجهك الآن يسرى الوهن..

شدةُ السقْم في القلبِ

فاحتكمي الآن..

لليل.. للشعرِ.. للموعِدِ المرتهن..

سوف تلقين حلمي مازال بين يديكِ

وحلمك .. ينأى مع الموجِ..

يحمله الفُلْك

يبحثُ عن قطعةٍ من وطن!

١٩٩٠-٢-٢٣

رِسَالة في الألَم.. والسَّــأم

انزوى القلب عن كل قلبٍ
وغاضتْ عيون الطواويسِ عن كل عينِ
وحطت صقور الألم
لم يعد سفْر أيوب يكفي
ولا صبر أي نبيٍ
ولا صخرةٌ من جدارٍ أصم
لم تعد كلُ تلك الذنوب التي احتدمتْ
في الزمان القديم..
إنه الوجع المتجدد
يصعد من فتحة القلبِ
ثم يحلّق في الأفق.. رخًا
يحيلُ الصفاء الجميلَ .. حجابا
- ليتني أعرفُ الآن أطرقُ بابا - !
تُلبى صراخي طيور الخرافة
تكسر في القلب قيد السأم..
كلُ شيء هنا ينقسم

فلمن أحتكم

وبمن أعتصم

وأنا مذْعِن رغم أنفي

ومنقسم بين ضعفي.. وخوفي

يراوغني الوجع المرْ..

يسقط في القلب حتفي..

....

ليت أن المقارض تشطُرني مرةً

والقوارض تنقرني مرةً

وأعود من الألم المر بعض فتاتْ

ليت قلبي يباغت حلم الطيور

وصمت البيارق في الليل

أعزفُ كونًا سحيقا

.... ليت قلبي يحسو الرحيقا..!

١٩٩٠-٢-٣٠

رسالة في الأسر .. والصهر

أجيئُك شعرا
فَتُحكِم قيدك فوق يدي
أجيئك عشقًا
تسدد للقلب سهما شقي
فماذا عن العهد حين التقينا
وماذا عن الورد حين تلونا
وماذا عن الحزن في مقلتي
تقول العصافير وهي تنقر نافذتي:
أيها الفارس المتململُ
شق جدارك واصهر حديد النوافذِ
فالموتُ موتٌ..
وقيد الزنازن.. موتٌ..
وتلك القصائد في منحني الدرب تدعوك
تركب صهوتَها.. في النهار العِتي..
أيها الفارس المتململُ
لا تَخْشَ صدرك تضربه الريـح..

مال العمر إلا جناح يطير
مغامرةً في المنافي..
سأعطيك سِر العصافير حين يباغتها
خطر من عدو شقِي..
ها أنا الآن بين يديك
تُحدثُ عني القيود
ويحملني العشقُ في راحتْيه
يتوجني ملكًا بالسنا والحِلي
قد أبيتُ السكينةَ
أنصهر الآن في النارِ
تُكسِبني الومض ... والألقَ السرمديْ
فاقْبل الآن خطوي – إن شئتَ –
أو فاشْحذِ الآن سيفَك
اصهره حين يلمس صدري
أُطلقه شعلةً
للذين يريدون أن يكسروا قيدهم
في يدِي.!

٢٥-٤-١٩٩٤

رسَالة في الفَرَق .. والارق

أخرجنا يا سيدنَا من صمت القلب
أخرجنا من صلَفِ السفهاءِ
ومن غابات يملكها القتلةُ
والعسس المترقب في مفترق الدرب..
أخرجنا يا سيدنا من هذا الكَرب
هذا زمن يحملُنا في فكيهِ
يصعد .. يصعد .. يلقينا من فوق السحب..
نهبط في حفَرٍ.. في صخْرٍ
في بيداء..
وعلينا.. تجتمع صقور
تقتتل وحوشٌ
نغدو الصيد الأشْهى.. والنهب..
ها نحن دمى في أيدي من يملِكُنا
نتشكلُ فوق خرائطهم
بقعا حمراء..
وأسلاكًا شائكةَ..

وزوايا .. وخطايا..

وسبايا حرب..

ها نحن انكسر الظهر ومرض القَلب

وران على مفْرقنا الشيب

فمتى يا سيدنا تلقانا

ومتى تخرجنا مأجورين بلا ذنب

متى تُخرجنا من هذا الكَرب!

٤ – ٤ – ١٩٩٤

رِسَالة في اللَّوْح، والبَوْح

يقولُ لي!
لكنني لَما أُجب
قد جاءني ولم أكن مهيئًا لم يجِب..
يقولُ لي!
أكلُ ما يقال يا شيخي مقدر
أم أنه قد ينقلب..؟
يقول لي!
فقلت في نفسي: انسحب
فهذه الأقوالُ لا تَشْفي
ولا تضيء شمعةً في عالمٍ خَرِب
أين هو القول الذي
يسقِطُ أو يقيم..
يضيء.. أو يلوم..
يعيد للأيدي الخواءِ ما سلِب
إن تستطع يا شيخنَا
تحيلُ قولَك القديم..

رصاصةً في عقل من يذيقني الهموم
والسغب..
ما عاد لي يا شيخنَا نسب
فابحث معي عن نسبٍ
غير الذي جئتَ تقولُ لي..
يصيب من يسبقُ خطوي مرةً
ولا يصيبني – أنا – وينتهب
ابحث معي يا شيخَنا!..

١٩٩٤-٣-٢٥

الأرض

(زلزال ١٩٩٤)

كرةٌ من عقيقٍ عتيق
أم تُرى هي تفاحةٌ غير ناضجةٍ
أم هشيم من الإثم والعظم
أثقلتها خُطَى العابرين
ذنوب المرابين
حزن الثكالى
وسم الثعابين!
حتى إذا أخذت زخْرفَ الثوب
وازينتْ..
نخِر السوس جمارها..
شق فيها اللحود التوابيتَ
بدل فيها المواقيتَ
أخرج ذا النون من باطن الحوتْ..
- لجةٌ من ظلامٍ
فلا عاصم اليوم من غضب الأرضِ
ها قد رأيتَ النجومِ استدارتْ

رأيتَ النجوم استراحتْ
وكنتَ تسائلُها – الليلَ – أسئلةً
وهي تُنصتُ مثقلةً
إنها الآن تلْعن فرحتَها
ودعت عالم الليل.. والجوع .. والأسئلة
أي نخبٍ يبدلُ أحزاننا
- أي بوحٍ يلون كتْمانَنا
والذي ظلّ بالأمس في عرشِهِ سيدا
لحظةً..
قزمتْه الفجيعةُ أصغر من خَردلَة
فلعلك تذكر ما فعلتْ نملةٌ بالأسد!.
إنها المسألة.!
إنها المسألة.!
لا يفيد التوجع..
هذا الخراب الذي يملأ القلب
يملأ هذا الفراغَ الممدد ملء الفضاء
يسلب الأرض ما حملتْه من الحب..
ضاقت بنا الأرض..

أنتَ بنا الأرض بعد السماء
فلتقترح أيها القادم – الغد –
من قبل أن تلفظَ الأرض وجهك
أين تريد البقاء!؟

٦ – ١١ – ١٩٩٤

الزَّمَانُ العَصِيّ

سكنتْ أضـلُعي
واستراحتْ على ساعدي
وأضاءتْ بليل الهوى مقلتي
صعدتْ سلم الحلم..
حتى استراحتْ على شُرفة القلبِ
في ظلها السرمدي..
- أي هذا الزمان العصِي..
ضقت – أعرفُ – بالحب
حتى صرعت المحبين
ثم ابتسمت ابتسام الشقي
ثم حين غفَلتَ.. انفلتْنا من القيد
لاحقْتَنا بخُطَى السامري
بطلتْ أحجياتُك حين قبضتَ الثرى
فغُشيتَ به..
واخترقْنا الجدار العتِيْ
- أي هذا الزمان العصِيْ

نحن بالشوق نطوى المفازاتِ طَيْ

فاتخذْ من كهوف الوحوشِ ملاذًا

وتُب توبةَ المستجير النقِيْ

ربما تغفر الأرض خطوك – هذا الشقي-

أي هذا الزمان العصِيْ!

٣٠ – ٤ – ١٩٩١

العِصْمَة

حين اختلف الفقهاء على جسدِي
اجتمع على رأسي طير النقمة..
أسقط عيني حصاتين..
تعبثُ بهما الأقدام بليل العتمة..
لو تلقاني يا سيدنَا الآن
لرأيت الجسد النوراني
امتلأ بثُورا..
نقره الطير وفَر إلى عشٍ مجهولٍ
شق دروبا..
ومسافاتٍ ضائعةً
بين الأمةِ.. والأمة..
اليوم انصهر الحلم العربي
على طاولةٍ الجدل المحموم
اليوم.. استسلم حولَ المسألةِ الفقهاء
غابوا عن قبلتهم
وانصرفوا للطودِ الأعظم

انصرفوا.. يبغون العِصمة!

١٥ – ٣ - ١٩٩٤

غَفْـوَة

كان طبيبي يتجولُ بين شراييني
يبحثُ عن سِر الداء
أسرج خيلاً.. وأضاء قناديلَ
وسن مقاطع
لكن.. مازال طبيبي يسمع منى الآه..
- قسمتُ همومي بين خِزاناتِ الحِكْمة
حتى صارتْ ألفَ حكاية
وقصصتُ لساني حتى لا ينطقَ شيئًا..!
- لا تسألني عن دائي
أين.. وكيفْ؟
فأنا – أحيانًا – يأسرني دمع المقهورين
فأكون البلسم.. والعطفْ..
وأنا – أحيانًا – أعجز عن تغيير المنكر
حتى بلسان الضعفْ
وأنا – آنًا – أُمسِي صعلوكًا
فتطاردني في الفلوات قبيلةُ عبس

وأنا أطلُب عبلةَ بالنوق الذهبية.. والسيف..
وأنا – آنًا – أضحك.. أبكِي
ووجوه رفاقي تعشَقُ أن تتلون
ألوان الطيفْ..
هل تملك أن تنشُلَني من هذا الجب
أو تعطيني للسيارةِ..
تُسلِمني لعزيزٍ تشقيه الرؤيا
فأفسر ماذا تعني سنواتُ الخصبِ
وماذا تعني سنواتُ الخوفْ
هل تملك أشربةً
أو أربطةً
تشفْى الجوع..
وبطون رفاقي ضاقتْ بالأحزمةِ
ودمع الأطفال على الأرصفةِ..
وعين عدوي.. سيفْ..
- هل تملك بالخيل المسرجةِ.. وبالمقطع
أن تبلغَ بي عبلة في الفلواتْ..
أو تشرح لي سر الألوان..

- لا تسألني..

وتجولْ ما شئتَ

تسلّلْ ما شئتَ

تعلّلْ ما شئتَ

أو فأخرج من جسدِي

واصحبني..

اصحبني نضرب في الساحات فقيرين إلى ا

واكتب مثلي فوقَ الأشجارِ

وصايا الزمن المنهار..

اصحبني... نفعل شيئًا آخر..

اصحبني... نفعل شيئًا آخر!

٨ – ٣ – ١٩٩١

في انْتِظَـار المَطَـر

ساعةُ الصفر آتيةٌ
والدماء على شُرفةِ القلب تُنبتُ وردا
- أيها العربي الشهيد
أمازلتَ يا صاحبي في ليالي المواجِع
تطلب ودا.؟
وهذى الطفولةُ تُذبح بين يديك
وساستُنا يشربون دمانا
ويختلفُون على الأنصبة..
- ساعةُ الصفر آتيةٌ
أيها العربي المغيب
هل أذهلتْك خريطةُ بيتك
تُسقطُ فيها الحوائطَ
تفقد فيها المفاتيح..
تجهلُ غرفَةَ نومك
دفء كتابك..
والوهج المتعانقَ في ضحكات الصغار..

أيها القاعد الآن ترقب أن يحكم ا ُ

وا ُ لا يرحم القاعدين..

أيها المترقب حكْم المرابين

تشرب في صحةِ الشهداءِ كئوسا من النفْط

أترى.. بلغتك الجماجم في سجدةِ الفجرِ شيئًا

أترى.. بلغتك الشُجيراتُ عند "الخليل":

العصافير تهجر أعشاشَها الآن

كي تتواعد فيها الصقور..

وتملك أقدارها

تتسكع في طرقاتِ البوار..

- خارج الزمن المتَلاحقِ نمضِي

وحين يفاجئنا الغيم نصاب ذاكرةَ الأمسِ

والغرباء بأهدابنا يملكون البصر

- إنهم يذبحون القناديلَ..

والموج.. والشعر..

والوطن – الوهم – حلم الطفولة..

والقادم المنتظر..

- أيها القاعد المتشبثُ بالأرض

تُرى.. آن.. أن تُحتَضر.!
ما الذي تملك الآن يا صاحِبي
غاب صوتك..
غاب سلاحك..
غابتْ صلاتُك..
غابتْ عهودك
زلزلة الأرضِ والصمت..
أين؟!
وأين الخُطَى في دروب الزحام..
- أمازلتَ يا صاحبي تشرب النّفطَ
ثم تطارد في الليل ساقطةً
ثم تغيب.. وتغمض عينيك..
- أمازلت يا صاحبي في انتظار المطَر
آه يا ضيعةَ الوطن – الحلم –
يا ضيعة الزادِ..
يوم يحين السـفر!!

٦ – ٣ - ١٩٩٤

صَرْخَةَ عَرَبيَّة

- لأي عشقٍ ننتمِي

.ِ

للشيطان..

للإنسان

أم للذي يجيء من داخلِنا المهدمِ

- لأي أرضٍ ننتمِي

للساحل القريبِ

للقفارِ..

للحقولْ..

أم للذي يجيء من جذْبِ القلوبِ المعتِمِ

- لأي لون ننتمِي

للصمت

للحوارِ

للرصاص

أم للذي يجيء من ذُعرِ القلوب الأبكمِ

- من نحن

هل جئنا بلا هوية

حتى نُرى في رقعة الشطْرنج

كالقطيع المبهمِ

لأي شيءٍ خطونا

- لأي شيءٍ وجهنا

للقبلةِ السوداء

أم للخمرةِ الصهباء

أم للعلة التي يحار العقلُ

في تفْسيرها المحرمِ

- ها نحن.. في مواقف الرجال

شيعةٌ

وفُرقةٌ

ا ُ – حتى ا ُ –

حار في ضياعِنا المقَسـمِ!

للومِ عاشقون

للخوفِ مدمنون..

للفخر والرثاءِ.. وارثون..

إمارةٌ على حجارةِ الشِقي الأشأم

- ها نحن ندعو ا َ
والسماء يا رفاقُ..
أوصدتْ أبوابها الألفَ بصمت محكَمِ
- ماذا تبقى اليوم..
قبض الريـح
أم قبض الرقابِ
أم وهم الذي يحلُم مازال بعصرٍ ملْهمِ
- متى.. متى نُفيقُ
أو .. متى نضيقُ
أو متى نتُوقُ
مثلَ عاشقٍ متيم
تهون عنده الحياةُ في الجحيم المضرمِ
ومن نكون..
من نكون في سطورِ المعجمِ!.

غُصّة

- من يا فتى يشرح لي
قصيدةً تطْوى جناحيها
على دمٍ.. وخُطوةٍ منكسرة
من يا فتى يسمعني الصلاةَ
من شيخوخةِ الأقصى
مسكونةً بالحزن والحناجرِ المنصهرة
- هذا أوان في جدارِ مقبرة
تفرق الأحباب فيه .. والتقى الأعداء
فانمحتْ ذاكرةُ الثأر القديم
جف الدمع في القلب
وأخرج ا ُ الشهيد من جنتهِ
لأن أصدقاءه ألقوا دماه في البحرِ
وعادوا ضاحكين في الليالي المقمِرة
- قد نحتفي معا
ونرفع الكئوس نشوةً معا
ونرسم ابتسامةَ الصبار في شفاه الغِيد

فوق جدران القصور .. والحدودِ المنكرة

- قد نصطفي أنا وأنت دفترا

نكتب فيع وحدنا من واحدٍ لعشَرة

وبين هذه الأرقامِ أبجديةٌ طويلةٌ

لألف وعدٍ مثقلٍ بالهم.. والعواصفِ المندثرة

- يا لهوان الحرف..

وهو يشْرقُ الآن بغُصةٍ ومجمرة

تأكله الذئاب في قفار القُدس..

ثم في آبارها تقيؤه

لأنه استحال حِصرما. لا ثمرة..

التَبس الأمر علَي يا فتَى!

وأنا أشهد تلك الشاشة البيضاء

يا أ ُ .. رب المغفرة.!

أم أن الذي يضيء داخلي.. هوى

وشدني إلى جب السقوط

فجذبتُ الشمس والبحر معي

وكل كل الأصدقاء.. أعدائي

وأزهقتُ الخُطى المدخَرة..

- هل تستطيع بعد يا فتى تشْرح لي
أم أنت مثلي قد أُصبتَ بالعياء
قطعتَ من قيثارك الآن
- كما قطّعتُ –
وتَره..
هل تستطيع يا فتى.
هل تستطيع!!

٢١ – ١٠ - ١٩٩٣

مُـواجَهـَة

(إلى الساحة الشعرية)

تسـممت الآبـار واستأسـد الوعـلُ
وهمت أفاعي الأرضِ وانفرطَ الشّملُ
هو الشعر فتش عنه.. ليس لـه أهـلُ
وليس له فـي قلـبٍ نُسـاكِه شُـغْلُ
تغرب فـي أرضِ الهـوى وتقاسـمت
صحائفَه الجرذان.. يحكُمها الجهـلُ
فمِـن نـاقعٍ سـم اللسـان بحـدِهِ
ومن مضحكٍ قلبا.. وفي يده نصـلُ
ومـن مـدعٍ بـالعلم نصـب نفْسـه
أميرا على الأحجارِ ليس لـه مِثْـلُ
يحـرك فـي شِـطْرنجِه أدعيـاءه
ليبقى منارا.. والصـغار لـه ظـلُ
هم الشعر – إمـا تبتغيـه – ودونـه

حرام .. وتقليد .. وجدب ولا نخـلُ

هم الفن – إن شئتَ الجديـد – ودونَـه

ضلالٌ .. ووهم .. وانسحاقٌ ولا فضلُ

هـم المبتـدا والمنتهـي.. وزمـانهم

تأخر عـن ميقاتـه .. أينمـا حلـوا

فماذا لدينا لامـريءِ القـيس أو إلـى

متى نذكر الأجداد.. إنهـم ضـلوا!

وغذوا نُهانـا.. بالتراشُـق والهـوى

" ونحن هنا الهادون.. نحن هنا الرسلُ"

"ونحن هنـا أحفـاد شـوقي وصـفوةٌ

نؤسس عرشَ الشعر ثم لـه نَجلُـو"

"ونُنْشِد فـي البـاراتِ والسـكر سـيد

ومذهبنا في الشعر جِـد بـه هـزلُ

"إذا مـا ذكْرنـا ا َ.. فـا ُ ميـتٌ

وقرآنُـه غَـبن.. وجناتـه همـل"!

"ونصنع من أسـمِنتنا الـرب شـامخًا

ونهدمه..لا الفرض يرعى ولا النفْلُ"!

بنفسجةٌ تَـدمى.. وأخـرى صـبوحةٌ
وقرقرةٌ تُصمِي.. وأخرى بها هـدلُ
وخاز.. وباز.. والزمـان .. مـزاحم
وخز خزيز.. لا طراز.. ولا غـزلُ!
ونضحك حتى يشْـرقَ القلـب غـافلاً
ويسهر من جرائها العـين والعقـلُ
تسـممت الآبـأر والصـمت محـدقٌ
وناورتِ الجرذان.. والكـلُ يعتـل..
كأنا رضـينا المـوت بطئًـا.. وأننـا
نُسلّم بالبلْوى.. علـى حالِنـا نتْلـو
ويشـمِتُ فينـا مـن يعـادي تُرابنـا
ويهنيه أن يعلُـو بسـاحاتِنا الوحـلُ
فيا غيرةَ الأمجـادِ هـل مـن منفـاحٍ
ويا قِبْلةَ الأقلامِ هـل صـعب الحـل
ويا صفوةَ الأشعارِ هـل هـان قَـدرنُا
لنصمت حتى ظُن أنّـا هنـا غُفْـلُ
تسـممتِ الآبـار هـل مـن مطَهـر

لسم سرى حتى تشهى بـه العقـلُ!

١٣ – ١٢ – ١٩٩١

الألف

أضع الهمزةَ ما شئتُ
على رأس الألفِ
فتصبح تاجا من سعفْ..
أو ألقيها في ذيل الألِفِ
فتصبح مثلَ الطفل الباكِي..
أو أحملُ هذا الألفَ
أُثبتُه في فك الهمزةِ حتى تصرخَ
في ولولةِ النسوة
يفقدن عزيزا..
أو يغْصبهن غشوم..
يا هذا الحرفُ المهموم
أخْلَع من أضلاعي رمحا أجوفْ
يمتص براءتك الأولى ويحصنُك أمام الريـح
لعل اللغةَ توافيك بهذا العرش
الغائب في فوضى الأحرفْ
يا هذا الحرفُ المتعففْ

بين يديك بداياتُ الأشياء
فلماذا أنت رضيتَ الآن
أن تقصفَك الأقلام الصبيةُ في ساحتنا..
ولا تصرخْ فيهم..
أو تحتج قليلاً..
أو تأنفْ..
يا هذا الحرفُ المرهفّ!؟

٢٢ – ٣ – ١٩٩٤

اللعبة

منهكة أنت على طاولةِ الليل
سمارك يغتالون اللُعبةَ
يقتسمون اللحظة في كأسٍ ولُفافةِ تبغ
فإذا أحدهم احتج.. وصاح..
قيل: دعوه يصرخْ
يطلقْ طيرا أعرج يسقُطُ في السفح
ما أشبهه بالشعراء المشائين.. الهمازين..
اللمازين.. النمامين.. الأفاكين..
محترفي الكلمةِ..
يطلْون الألفاظَ بدهن الجسدِ
ولون الدم..
فيحيطُ ذباب الزيفِ عليها
يقعون بأنفسهم مرضى شكائين
وينالون شهادةَ مقهوري الكلمة
ويفوزون على محترفي اللُعبة.!
هل لك يا سيدتي في كأسٍ صافيةٍ مرة..

تضرب في بيداء الشعراء
وتُفيقين على زمن الهم الأكبر
تتعفن فيه الثمراتُ..
وينبتُ فيه وجه غدٍ مقهور
يحملُه الصبيةُ في أطباقِ النشوةِ
في أمسيةٍ..
تتقازم فيها القاماتُ
ويشمخُ فيها الأقزام
كل رءوس السادة تفقد قدرتَها
وتمارس لعبتَها..
تتصابى طُولَ الليل على أرصفةِ المقهى
وتثرثر في سفْسطِة العصر بلغةِ باريسية:
الأسلوبيةُ.. والتفتيتية
والتشتيتية.. والتعميمية
والبيدائيةُ.. والجسدية.!
يمسى فيها كل السادةِ عصريين
لارجعيين.!
هل لك في كأسٍ صافيةٍ مرة..

تُلقين شباكَك في هذا الطُوفان

وتصيدين الدر الخالص

والمرجان..

تكتشفين اللعبةَ.. زائفةً

يتخاذلُ فيها الصبيةُ في الركن الأقصى

وتعودين إلى طاولة الليل..

تزيحين بقايا التبغ

قصاصاتِ الأوراقِ

فتاتَ الكلمات..

وتَرشّين.. مياه من قِلبك!

هل لك.. في كأسٍ صافيةٍ

يا سيدتي.؟

٧ – ٢ – ١٩٩٤

صلاة

إلى حفيدتي (ماهي)

لو أن الدنيا تمنحني عرشًا ورديا
أصعده
وأطل على مملكةِ الحب..
لو أني أملك للبحرِ مفاتيح الموجِ
وللشمسِ قناديلَ الضوءِ..
وللأرض مسافاتِ الخصب..
ما زلْزلت الفرحةُ قلبي
زلزالَ الوجهِ النورانِي الطفلْ..
عرفني – في أول صوتٍ – وجه ا
أوقفني عبدا حرا.. في باب ا
جسد في قلبي نبض ا .!
ها أنتَ الطوفان بقلبي
يا وجها أتعلّم منه الصمت

كما أتعلم منه أحاديثَ اللهفةِ
ما عشتُ..
تتفجر بين يديك ينابيع الغيب
وتحلو بسمتُك بألوان الخصب..
وتسرى أشرعةُ الحلمِ
على صفحةِ عينيك
وترسم أسئلةً عن أيامٍ قادمةٍ
وهواجس
ورياحٍ.. وعواصفَ
أشجارٍ.. أغصانٍ
ليلاتٍ لا تعرفُ معنى الرحمةِ
وصباحاتٍ تُقبل بالحب.!
يا وجها يزرع في القلب نخيلاً
يعزفُ لي لحنًا وتقاسيم
يطفو فوق فراش الموجِ
ولا يغرقُ..
يعلو في سحب الحلمِ
ولا يشْرقْ

يصلُ الليلَ بأسواق الصبحِ
ولا يهدأ..
لكني.. أحضن صرختِه نغما في ليلةِ عرس
تتسللُ في أضلاعي ملء القلبِ
وملء الحس..
تشتعل جنونًا.. فرحا
حتى تصل إلى نجمِ الجوزاء
فإذا اللوح المحفوظُ يسطر عاطفةً
لم أكتُبْها من قبل.!
لو أن الدنيا تمنحني عرشًا ورديا
ما زلزلتِ القلب..
كما زلزلَه الوجه النوراني الطفل
فليحفظْه ا ..
نجما يشعلُ دنيانا خيرا..
ينُبت في دنيانا.. ألقًا مخضرا
يتجسد ملحمةً من نورِ ا ..
تتجاوز ما نكتبه شعرا.!

١-٦-١٩٩٤

الرَّحيل
إلى المُدُن السَّاهِرَة

ظمأ

أتجمر حين يباغتُني العشق
أتطحلب حين تناوشُـني الريـح
لتأخذ ثأرا محفورا في الصخر..
أتكلس في بطن الحوتِ
فيلفظني ثانيةً
تتلقفُني في الصحراءِ غزالة
أنمو داخلها قوسا مشدودا
تقذفني قمرا مولودا
أصعد .. أصعد في ليلٍ
غابتْ فيه الأقمار
أشرب من أيدي الريـح
أشبع من أدخنة العتمة..
لكني أحترقُ حنينًا للعرش الفِضي
أتكيء على كتفِ امرأةٍ
تمنحني تاج العشق..
أسكن قلعتها النورانيةَ

أزرع أشجارا في القلب
وأرشقُ في الأفْق نجوما
وأراقُصها في رؤياي الصادقةِ
ونقضي ليلَ النشْوةِ مخمورين
نغيب .. نغيب..
وأفتح عيني
يفر النوم على أحصنةٍ شفقية
فتباغتُني الأسئلةُ المنسوجةُ
من سنوات القَهر..
وجوع القلب
أساقطُ من عرشي
شُهبا.. شهبا
يتجسد وهمي صقْرا وحشيا
أصرخ":
يا من يلقفُني
ويفسر حلمي..؟
فتعود الأصداء إلى حلقي
ظمأً لا يهدأ!

النِّـداء

جناحي للعشق أخفضه
وأحس المرارةَ لو صخرةٌ عاندتني
فيغدو جناحي إزميلَ نار
يفتتُ صخر العناد
أيها العطشُ المستبد
لن تحرقَ جوفي
ولن تشعلَ القلب إلا مزيدا من الشوقِ
تقدح فيه الزناد..
حسبك الدمع.. والصمت.. والموت
خطوي يا قاتلي.. لا يود السهاد
فهل تعرض الآن قهرك للعاشقين
على طرقات المزاد..
كف عن ذلك الوهم يا قاتلي
لن ترى كبوةَ للجواد
فجناحي للعشق أخفضه
كي أحلقَ في أفقٍ

يحتفي بالنداء..
يتفجر شمسا
وحلما
ودفئًا..
إنه أفقٌ موغلٌ في البعاد!

وهج المستحيل

موجةٌ تتباعد
ثم تلوذُ بأخرى.. وأخرى
وترتد نحوى..
تُسدد للقلب سهما
وللعين جمرا
وللجسد المتأججِ بالنزواتِ
طيورا جوارح..
ما الذي يجعل البحر مرتجفًا هكذا
ما الذي اهتز في عرشِهِ اليوم
حتى تشظى بداخلنا..
يتثلج حينًا.. وحينًا يلوذُ بجمر الجحيم!
لا يزال يطهرنا الملح..
تأتي التماسيح من زبد البحر
تتدثر بالرمل.. والجوع.. والشهقات..
المسافاتُ منحوتةٌ في جدار الجسد
والمدى – لا يزال –
لغةَ النار.. والزمن الحجري

وبحارةَ الليل
والصدفاتِ التي تشعلُ الوهج المستحيل!
قال لي صاحبي:
إنه الموتُ في الحب
والعيشُ في الحب
والجوع.. والصمت.. والعطشُ المتوقد..
أي موج يحاصرنا الآن
أي ذنب جنينا..
ولون التوجسِ في مقَل الليل
يحفر للقلبِ مجراه..
هل للذي احتضن النار
عود إلى شاطيءِ الثلج..
هل لغةُ الحب يمكن أن تتهاوى حروفًا
على صخرةِ الليل
إننا لن نكون
غير هذا الجنون
نقطر في القلب غيم الأساطير
نَعدو إلى وهج المستحيل!

انصهار

ها أنا لهفةٌ
وأنتِ انتظار
وأنا كوكب .. وأنتِ مدار
سفر نحن
والرحيل احتراقٌ
وعيون مشبوبةٌ.. وغبار
خاصمتنا الدروب ليلاً
فلما عشقَ القلب
هل فينا النهار
ودنا الشعر من مرافيء
كانت حرماتٍ
تشْقى بها الأسرار
فاستحالت حدائقَ العشق
تصفو.. وتغني جمالَها الأطيار
أنتِ بدلتِ كل نبضٍ جمالاً
بعد أن كان في القلوبِ انكسار

أنت بددتِ ظلمةَ الروحِ

في الليل..

فجاءت شمس النهار تغار

أنتِ..

من أنت..

هل خُلقْتِ كما الناس

أم الحب أنتِ والأقمار

أم هو ا   شاء أن يتراءى لي سنَاه

وتَذهلُ الأقدار

فتعالي بالحب..

نصفو.. ونفْنى.

ونغني...

ويحتوينا انصهار

إنني لهفةٌ

وأنتِ انتظار

وأنا كوكب.. وأنت مدار!

قرار

مثلكِ..
أرفُض أن أحيا حبا
يثقلْني بالهم..
لا أجني منه إلا زم الفَم
مثلّك
أرفض ما يبرقُ من كلماتِ جوفاء
وما يمضغُ بين ثناياه السقْم..
مثلَك..
أرضى أن أتحرر من قيدي
أنزع جلدي..
أحرقه.. أطوي ألمي..
أضحك ملء القلبِ.. وملء الجسم
مثلكِ..
أرضى أن أتعانَقَ في وهجِ الشمسِ
وفي صفْوِ الليل
ولا أتناثر مِزقًا.. مزقًا

في ظلمات الوهم...

....

فانطلقي في دنياي يمامة

تجدين العش الدافيء في فلكِ النَجم

والأفراح الأولى..

تنتظر الأحضان...

وتشتاقُ إلى الضم

أنا لا أعشقُ أي امرأةٍ تحلُو في عيني

لا تأسرني امرأةٌ

تنقُشُ فوق الصدر بقايا وشم

لكني أهوى امرأتي.. جمرا.

أهواها سكنًا وجنونًا..

أهواها تحملُ في الأحشاءِ نداء علُويا

في القلب عطاء لا يتوقف

في كفيها خدرا يغريني باللثْم

- انطلقي في دنياي

فَلَكًا يأبى أن تأسره دائرةُ الأفلاك

انطلقي..
تجدين السر الكامن زمنًا في قلبٍ
ينتظر قُدومكِ عاصفةً
من خلف الغيم!..

جنون

سكرةٌ أنتِ
لا أفيقُ
ولا أغفُو
ولكن..
وددتُ لو تحتويني..
صرخَ الصمت
فاستعدنا بقايا النبضِ
حتى أضاءنا بالجنون..
من تكونين..
في النهارات شمس
ومع الليل قِبلْتي وحنيني
من تكونين..
في التوحدِ هذا الخفقُ جمر
وفي الوداع رنيني..
كيف لي أن ُأفيقَ
والدفء لون في عروقي

والعشقُ وجه سنيني

لفتةٌ منك تُغرق القلب

في البوح

وتُهدي إليه كل حنيني

لمسةٌ منكِ

تبعثُ الشعر وحيا

لأغني

بسكرتي ويقيني..

أكذا العشقُ يفتح الباب

لا يدخله

من يظل نهب الشجون

أحلم الآن..

أطرح الهم.. أشدو

خطوةً وسط عالمٍ مفتون

صنعته أحلامنا

زرعتْ فيه نخيلاً

تحيطُه بالحصون..

كيف نحيا وتستحيلُ خطانا.

لهفةً

من توحدٍ وجنون!!

حَدُّ السِّكِين

أُقاسمك الموت
ما دمتَ تُشْعِلُ مثلي جمر المواقد
أباعد بيني وبينك
حين أراك على أربعٍ
هابطًا لفُتاتِ الموائِدِ..
أيها المتأرجح ثوبا.. وقلبا
تُخبى نفسك في العشبِ حينًا
وتدخل كهفَ المكائد..
ها أنا – حين أصفو – أمد إليك يدي
أبايع فيك خطاك القديمة
يا صاحبي
وأبايع سِر هوانا المعانِد..
فمتى تسترد عناقيد طفلٍ قديمٍ
أقام بها عرسه في الصخُور
لينقُشَ خارطةً للشدائِد
متى تحرقُ الجلد في وهجِ الرمل

تنعشُ ذاكرةَ الموتِ
تُشعلُ مثليَ جمرَ المواقد!

أسْئلَةٌ للرَّحِيل

(إلى الشاعر الراحل:
عبد ا السيد شرف)

مثقلٌ بالقلبِ حتى أثْقلَك
أيها المدلج نورا في الحلَك
فاض منك الصبر نهرا لا يجف
فاض حتى مليء البحر
تزيا منك بالحِكْمة..
وشى محفَلك..
ها.. رحلتَ الآن والعمر رحيلٌ فيك
لم يسبق خطاك العمر
يا .. ما أعجلك..!
دمعةُ الشعر استحالتْ جمرةً في قبضتيك
ثمر الود على دوحتك الخضراء
يدنُو للصحاب..
من تُرى يسقى شفاها ظمئت للعشق
من يا صاحبي يلقفُ أوجاع النّدامى

ويداني منهاك؟!
ماك أنتَ على مملكتين
شاطيء للسقْم لم يرس عليه زورقُك
ومدى يصفُو لرزقاء..
به أجهدك المقدور
حتى سربلَك
قبضةٌ لا ترتخي
والصولجان – النار –
والأرض.. وصوتُ الوطنِ المشنوقِ
والبسمةُ. والحلم المدوي
والسهارى.. والفلَك
رفقةٌ شئتَ لها عمرا..
فلا الأوجاع تُشقِيها
ولا عتْب التجافي.. حولك
عروةُ وثْقى...
وخطو راحلٌ بالعشقِ
ورد طازج
شمس، تراتيلٌ.. وموج عاصفٌ بالمد

أعلنتَ عليه الزحفَ
سددت إليه منْجلَك
ها.. رحلتَ الآن
فلتُفلِتْ صقور الليل
ولتغزل عروس النيل ثوب العرس
تبكي مغزلَك
ها.. رحلتَ الآن
في القلب الإجاباتُ التي واعدتَني
هل يا ترى ترجع لي..
كي أسألَك!؟

١٣ - ٤ - ١٩٩٥

مَمْلكَةُ الرَّعد والحِصَار

مطر الليل يسقطُ
في داخلي الآن
والرعد.. مملكةٌ من حِصار
وفي لحظةٍ.. يبرقُ الحزن
في لحظةٍ .. يتفجر في القلبِ صمت الروافد
....
كان صديقي يعاتبنُي
كان – كلّ مساء – يسائلُني الشعر.. والبوح
كنتُ أطأطيء رأْس حروفي فوقَ الدفاتر
كنتُ أُقطر ذاكرتي المستحيلة
أستحضر المدن المستكنةَ في حضن طاغيةٍ
فأراها بلْون الحداد
بكتْ حلمها المتورد..
كان صديقي يسائلني
وعيوني ترصد تلك الطلولَ
وتدرك كيف الصقور استباحتْ عيون الصغار

وأثداء كل النساء..

ولا نملك البوح والشعر يا صاحبي..

مدن الرمل كانت تجود سخاء

كيف عاد صعاليكُها يسكنون الصوامع

يسطُون.. يقتتلون

يسوقُون سقْطَ النساءِ إلى وثَنِ الليل

والمطر الدموي إلى خطوة الجمر

يبعث عصرا من الجهل

عصرا من الذل

عصرا من الخوف..!

من يملك اليوم أن يتطهر من عاره

يسقطُ الآن عوسجةَ الموت

يشمخُ.. يوقفُ سيلَ العرم؟

أيهذا الصديق..

كفاك عصورا.. وخمرا

كفاك البكَم...

مطر الليل مازال يسقط

والرعد مملكةٌ من حصار..

وأنت..
أنت الذي غاب عن حلمِه
واكتفى بالألم..!

الدَّائِرَة

أعلنتُ العصيان على صمتي

وخرقتُ الأرضِ

وبلغتُ جبالاً – لم يبلغْها غيري –

وقطعتُ مسافاتٍ بسيوفِ الخطوِ المسنُون

أسقْطتُ غيوما... ونجوما..

وقبضتُ شراع الريـح..

حتى بلغَ الخطو جدارا – لا ينقض-

يصعقُني حينًا بالصمت

وحينًا بكراتِ النار..

ألقاني في وهج الشمسِ صريعا

لا يعصمنُي جبلٌ.. أو حتى ظلُّ شُجيرة

فتحتُ عيوني..

فإذا الدمع صقور حامتْ فوقي

تسخر مني..

تعصر لي طوطَمي المحفُوظْ

تنزع عني أرديةَ الطاعة والعصيان...

وتُمهد لي طرقًا من أشواكٍ وخناجر
فإذا لوحاتُ الليل شظايا في كل الخطوات
وإذا قدري يهرب مني
وإذا خطوي الباقي
يتجرد من أشواقه
يلقى أحلامي في دائرة الصمت!

حَدِيثٌ جانِبيٍّ

لا أريد من البحر فُلْكًا
فكلُ الشواطيءِ تنكر وجهي
وحراسها يتباهون .. ضحكًا
إنهم يدركون بأني أخافُ ركوب البحار
أقطر ملح السنين القديمةِ فوق الشواطيء
حتى أضعتُ الرواسي..
وسلمتُ عكا..
وقايضتُ أرضا بأرضٍ
وحصنًا بحصنٍ
ومئذنةً بجدارٍ
وشمسا بشمسٍ
وأزريتُ ملكًا
وواريتُ في الرمل ألفَ شهيدٍ
ولم أشك ضنْكًا..
ورحتُ أغني لسربِ الحمامِ
يرفرفُ عند المواني..

ألوح خلفَ الحدودِ بحلمِ السلامةِ
وقعتُ.. قيدا وصكًا..
هنا رايةٌ فوق سورٍ قديمٍ
جرى تحتها النهر
لكنه صب في القلب نارا
تُرى..
ما الذي جعلَ النهر يحملُ رنْقًا.. وإفكا
هنا قبةٌ تتشكلُ في القلب
يحملها في الفضاءِ براقُ
ولكنها الآن تهوي.. وترتد شركًا
هنا آيةٌ من كتاب كريمٍ
تُؤولُ عند المرابين...
تُطفيء فينا سراج التراحم
تأتي على خُضرةِ الأرضِ.. دكا
هنا خرقةٌ لنبيٍ قديم
تبوح بلون العشاءِ الأخير
تفوح اختناقًا.. وسفْكا
هنا.. وهنا..

ما الذي بعد يوقفُ هذا النزيفَ الممدد
في باطنِ الأرض
يبعثُ في ثوبها الغَض.. عكا
أتُرى حجةُ القول يا صاحبي وحدها
والمرابون لا يفقهون الأحاديث صادقة
أم تراها القواطع نرفَعها في الفضاء
ترتلُ سِفْر السنابل، .. حكما.. وفَتْكا
ما الذي بعد يضرم نار العيون
ويطفيء في القلب.. شكا
ما الذي بعد يطفيء في القلب.. شكا!؟

الرَّحيلُ إلى المُدُنِ السَّاهِرَة

صوتٌ زلزلني
يتسلل من حلقومي
يتشظى جمرا فوق يدي
فتحتُ عيوني اشتعل الصوتُ
جوادا عربيا
أطلقتُ جوادي للريـح
احتدم الغيم.. مددتُ يدي أقبضه وشْما
أنقشه فوق جبيني..
أحفره فوق ذراعي
تنشق الأرض بعيني
يصهلُ في الليل جوادي.. يركض.. يركض
حتى انتصفَ الدرب إلى وادي الشام
ساءلتُ البيداء الممتدةَ عن قافلةٍ
كانت ترحلُ صيفًا

ضحكتْ بيدائي.. ضحك البحر الميتُ والمتوسطُ
والقيظُ.. وسعفُ النخل..
تذكرتُ...
الليلةَ هبتْ صاحبتي من حضني
طلبت جرعة ماء..
قصتُ حـلْما أسهدني حتى الصبح!
الآن تأول حلْمي..!
هزيني أيتها الرؤيا المدخرةُ في ذاكرتي
سلي من قلبي هذا الشوك
انطلقي بين يدي
سيفًا عربيا.. أو صخرا
أو وجه يهودي
هزي بين يديْ:
"فعلاً".. يبحثُ عن "فاعله"
نسجا عربيا يروي عن غازله
جمرا مضفورا في سنبله!
فأنا وجوادي صرنا المد.. الغيم
الوشم على جسدِ الذكرى..

سلي مني اللُغَةَ الصعبة.
أنا لا أبغي الجولةَ خاسرةً.. أو خائنةً
أو غافيةً عن وعيي..
هزيني.. أصنع منكِ القلب الصخري
أدرك فيه لغتي..
وصهيلَ جوادي المتْعب!.

لا فَـرْق

في لحظتنا هذي يا أصحاب
بعض منا يشدو شِعرا
بعض منا يرسم أحلاما خُضرا
بعض منا..
يشرب كأسا تُشعلُه سكرا
نتحاور حولَ قصائدِنا
إن كانت شعرا..
أو كانت نثرا..
في لحظتنا
يحملُ كلٌ منا لصديقته نذْرا
يلقفُ أنجمه في قَبضتِه
يعصرها .. قَطْرا
في لحظتنا
نشجب.. أو نحتج صراخًا
أو نشْقَى بالحِكْمة..
أو نغفو قَسرا..

وعلى بعد خطوطِ خريطتنا
تُسفح أكباد.. تهوى أعناقٌ
تتلوى أطفالٌ..
يتلهى السفاحون
يصلون على جثثِ القتلى – كُفرا –
في لحظتنا..
يذبح خَطْو الإنسان على سيف الحِكْمة
نتوهم عالمنا طُهرا..
....
ما أشبهنا – بين شرايين خرائطنا –
ومسافاتُ الموت نمهدها
سكينًا كانت..
أو طلقاتِ رصاصٍ..
أو شِعرا..
ما أشبهنا!!

الفِـتْنَة

جاءني وعد عدوي.. أن أسالِم
زوقَ الأوراقَ.. والأشواقَ
حرى – والمزاعم
يا أبا موسى احترس...
أنتَ أسلمتَ سلاحي.. وابن هاشمٍ
للذي أغراك بالوعدِ
وباع الدم في سوقِ الغنائم
وأتى يهدي التمائم..
لا يفيد اليوم أن تُرفع بالسيف العمائم
يا أبا موسى اتئد
إنها الفتنةُ عادتْ..
تسفح الأطفالَ.. والنسوةَ
والدمع المسالم
إنها تُعلن في الأرض المواسم
للذي أقبلَ كي يطفيء عينًا
أو يحيلَ الوعد هما ومآتم

- أنها تُعلن: من يسرقْ
فلا خوفَ على قطعِ المعاصم!

السِّرُّ المَكْنُون

قال: اضرب بعصاك الليل
يتفجر برقًا.. ونجوما..
وقلوبا للعشاق..
قال:
طفلاً أمسيتَ فلا تبحث عن أم
ما أجمل أن تُغمض عينيك
وتقفز من فوق سماواتِ الصمت
فتحطم صخْر الموت..
قال:
لا تسألني عن شيء
لكن أعدك أن أُنبئك بِسر الأشياء!
....
كان فمي مفتوحا...
يلتقطُ حبيباتِ المطر
ونجماتِ الدهشة
وشظايا الألوان.

أسأل يا مولانا عن نهرٍ آخر في داخلنا
ينبع من قلبِ العتْمة
يجرف طمي اللعنة..
يلقيهِ في البحر..
فهل تمنحني وردا أتلوه وحدي
وأفجر وحدي
هذا السر المكنون!

القَهْر في زَمانِنـا

سيان المخطيء
والمعصوم من الأخطاء
سيان النائم في كنفِ النعمةِ
واليقظان على جمر الأدواء
سيان الصامتُ قهرا والصارخ باسم السادةِ والأهواء
ماذا عن وجهٍ يقتسم الساحةَ
يرفع راياتِ العصيان
يشتعل جنونًا.. ورحيلاً
يقبض بين يديه مسافات العالم
لا يخسر في قبضته أي رِهان..
ماذا عن شيطان..
يمتلك القدرة أن يخذلني
حين يعز الخُذلان..
أبحث عن ملَكٍ يخاص في بيعته
يقتاد خطاي إلى ملكوتِ الندمان..
....

من يرحمني.. مِنى..
من ينزعني.. مني؟
تختصم شراييني الآن
تسري فيها أنهار المقهورين
تتفجر صرخاتي الآن
لا أعرفُ من يصرخ في جوفي:
عربيد خانَتْه امرأةٌ في عابٍ السـكر
أم طفلٌ كفن أبويه في عينيه
ولم يحفر لهما القَبر!
من يقهر في داخلي القَهر..؟!
من يشْوي جِلْدي
كي ينمو درعا لا يكسرها القيد
ولا يهزمها الأسـر..
ساعتَها
أدرك سِر المخطيء والمعصوم من الأخطاء
أعرف من نام على النعمةِ
واليقظان على الأدواء!

الخَسَارَة

فاجأتني..
وبين يدي كومةٌ من حروف
وفي العين نبع من الجمر..
فوق الشفاهِ وجيف..
فاجأتني..
تجمدت الكلماتُ
وشاهتْ ملامح وجه القصيدةِ
حاولت أوقفُ مد الكآبةِ
في شاطيء القلبِ..
لم أستطع..!
كانت يداها تشُـقان وجهي نصفين
وأنا أتوسلُ بالموج مشتعلاً
والمسافاتِ..
لكن ثلج اللقاء تحدر
أغمضتُ عيني
أبحثُ في كومة الكلمات.. عن الشعر

(ها هي الآن تُمعن في القَهر!)
لكن نار القصيدةِ تصرخُ ملء الشرايين
(ترسلُ لون العيون المبللَ بالسـكْر)
لكن موج القصيدةِ مازال يعبث بالصدر
(تسأل.!!)
لكنني كنت أصغي لأسئلةِ الليل
(تصرخ!!)
حتى تسرب من فتحات الحوائط
سوطٌ من الموت..
ظلت تثرثر حول زحامِ الشوارع
حول غبار الشوارع
لكن قلبي منتزع في الجنون
وكومةُ شِعري سراب..
تمنيت لو أملك الآن سيفًا.
ولو أهرب الآن للموت.!
....
رأتني أحلق في سحب الصمت..
جست جبيني.. شفاهي

أسئلتي القاتمة..
حين حدقتُ في وجهها
لم أُحس الخسارة..
لكنني حين أمسكتُ بالكومة – الصمت –
أدركتُ أني خسرتُ القصيدة!!

البَـدِيل

أنام في جفْن أمان الليل
تنام جانبي حبيبتي
لأن صيحة الشرطي بعد خطوتين
تُبعد عنا الريـح
واللصوص
والجرذان..
....
الآن أصحو الليلَ..
أحتسي الأرق
حتى حبيبتي....
قد هجرت مكانَها بجانبي
فسيدي الشرطي مثلَنا
في حاجةٍ لمن يصيح بعد خطوتين
يبعد عنه الريـح .. واللصوص
والجرذان!!

فيتو........!!

(هناك من يهنأ بقهرنا وهواننا ونحن لا نحرك ساكنًا)

لك القَهر يا سيدي
وأنت تَزف جنازةَ عرسِي
وتُفلح أن تعصر الآن من رشةِ الليل
كأسِي..
لك العمر يا سيدي
لك العمر ما كان منه.. وما لم يكُن
لتُطلقَ فيه خِرافَك
تطلقَ فيه ذئابك
تعبثَ.. تشْرب .. تقتاتَ عُرسِى
لك الحـلْم..
نحن فقدنا قصائد قيس
وريح الصبا وهي تُقبلُ من حي عبس
وبين يديك القصائد
بين يديك الهوى... والقلائد
بين يديك صراخٌ
يزلزلُ جدران بيتي..

يومي وأمسِي..
لك البحر..
آهٍ من البحر يا سيدي
كان إلى قرب مولدِ طفلي
يقهقه بين صدور الصبايا
يزغرد في سفَر العاشقين
ولكنه اليوم شاخَ
بقدر توابيت أجدادِنا الراحلين..
يطالبنا بالعباءةِ من سنُدسٍ الزهر..
ها نحن نبحثُ عن مغْزلٍ.. وكِباشٍ
وأنت
ـ بشُبيك لُبيك ـ
تهبطُ بين يديك العباءاتُ
يخطيء قِبلتَنا البحر..
آهٍ من البحر يا سيدي..
....
لك الأرض..
والأرض ظلتْ زمانًا

عروسا تئن.. وتحملُ كذْبا

ولا أحد في الفيافي يجيب

ولو جرا الطفلُ – في الغيبِ – يوما وصاح

تيتم قبلَ الخروجِ..

ولكنك اليوم تَسلُبها من عيون الصغار

وتسخر..

تلقى كلاما بليغًا عن الحقِ والوعدِ..

تسخر..

نجمةُ داود تعلو حقولَ الجماجمِ والقمحِ

تسخر..

لا أحد في الفيافي يجيب...

فلا تخشَ يا سيدي

فلا تخشَ وحشَ الفيافي

لقد كان أسطورةً.. واختفى

....

لك الحكم..

كلُ القضايا مؤجلةٌ

والزنازين مكتظـةٌ

والقضاةُ – هنا – يرتشون..
غير أن قضيتك اليوم
ليستْ ككل القضايا
إذ الحكم يا سيدي ليس في حاجةٍ
أن يكون له من ينُاقضه
أو يعيد قراءتَه من جديد..!
....
لك الوطْء..
يا ما اصطفى الشعر طائفةً
من فحول الرجالْ..
وسود أوراقَنا بذواتِ الحجالْ
ليأتي زمانُك..
يمنح صنَفْ الرجال الخنوثَةَ والضعفَ
يا لزمان العجائب..
لا نعرفُ اليوم من يرفُض الوطْء
في زمنٍ.. ليس فيه محالْ..!
لك الطلقةُ الباقية
قد ركِبنا جوادا سفيها

حسبناه يسبقُ كل الجياد
انتشينا سريعا
فدسنا زنَاد البنَادق
كي نُشْعلَ الأفْقَ نورا
وتَنْبتِ فوق وسائد أطفالِنا
قصص ..... وزنابِقْ..
ضاعتْ بنادقنا في السباق
وما عاد غيرك يا سيدي
تماك اليوم طلْقَتَك الباقية..!
....
لك العام
والشهر..
أعيادنا والمواسم
طالع أبراجنا والتمائم
كلُ الطواطم..
أوهمتنا طويلاً بقُربِ الشفَاء
وفي القلب زرقاء
في العين زرقاء

زرقاء فوق الروابي

تسوقُ قطيع التواريخِ

يأكلُ عشْب القلُوبِ

ويستلُ ضوء العيونِ

وكنتَ الأصم

وكنا نسائلُ عنْك

وكنتَ البعيد البعيد

وأسلاك هاتفنا فجأةً تتوقفُ يا سيدي..

لنذوقَ مزيدا من الوهمِ

كنتَ الأصم..

ولكنك الآن وحدك تأتي بما كنتَ

تدخِر الأمس..

والسوقُ في عصرنا..

السوقُ يا سيدي

السوقُ تشتاقُ للسلعةِ البائرة!

لك الشِعر..

ها نحن نكتب.. نكتب

سيان، ذكرك بالمجدِ أو بالسـباب

سيان.. أوراقُ حبٍ
أو الحرفُ ظُفْر.. ونَاب..
لك الشعر
زين من نصف قرنٍ خريطةَ ساستَكِ – الحلْم –
قيل لنا: الشعر أكذُبه العذْب
سقناه يا سيدي ألف نهرٍ وبحـ ـر..
ولكن رأسك أسنْدتَ
فوق القوافي القديمةِ..
حتى استرحتَ.. امتلكتَ..
ولم تشْك داء الهموم
كما يفعلُ الشعراء!
لك الشكر..
حينًا تحاصر أرضا.. وتوقظُنا
أو تُذَبح أطفالنا في العراءِ
وتوقظنا..
أو تُحطم سـ ـدا ليغرقَ بحرك
كل حضارتِنا الأوسطيةِ
توقظُنا....

أو تمد يديك لشيخٍ يراهن بالنفطِ
يمنحك الجبةَ العربيةَ
واللغة العربيةَ
والذوقَ..
والسمع
والشم
ثم تعود.. لتوقظَنا..
لك الشكر ياسيدي
ولنا نحن..
قبضةُ طينٍ من القُدس
نصنع تمثال إسرائِنا
ثم ننفخُ فيه..
لعل نرى السامرِي الجديد
لك الشكر يا سيدي
والمساء السعيد !!!

١٩٩٥-٥-٢٢

هَلْ يُفيقُ الرُّعَـاة؟

(إلى أسرى الوطن المقتولين بأيدي أعداء الإنسان)

أتُرى..
شحذَ الصـقر مخلبه
ينْبشُ الأرض عن صيحةٍ مبهمةْ
أم ترى.. استعرتْ أرضنا فجأة
فترامت على الرمل تلك الرقى الملهمةْ..
أو يحلُم – مازال – قلبك يا صاحبي
أن يجيء زمان
ترى البحر بحرا
وتحملُ مرساةَ رحلْتِك العربيةِ
تُعلن ثأر القبائل..
صرختَه.. موسمه..
أو تذكر مثلي يا صاحبي
ذلك الخندقَ الحجري
وتلك العيون التي تحصد الموت
حتى وقعتَ بأسرك حيا..

وداسوا على عنقي..
حين ظنوا بأني بقايا دمٍ معتمةْ..
ها هو الوقت يا صاحبي..
كسر القيد عن ساعديه
ليفيق الرعاةُ على اللوحة الفاجعةْ
شبِعت من دمانا الذئاب
والرفاتُ بجوفِ الرمال
وملح تكلس في باطن القبر
زهرة حبٍ قديمٍ تجفُ
وبعض رسائلَ قد حملتْها القَطَا
عين على دمعةٍ مضرمةْ!!
ها هو الوقتُ يا صاحبي..
ليفيق الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعةْ
ليس فيها السلام
وليس العصافير
ليس النشيد الموحد
ليس النخيلُ
وليس الكروم

وفي العين... والقلب..
أسر.. وقبر.. وعهد عدو
وملحمةٌ مؤلمةْ..
آه لو كنت أملك – مثل الرعاةِ –
لوقعت صكًا بذبح الذئاب
وعلقتُ فوق المنارات منديلَ أمك
مازال يعصر فوق الرمال دمه..
ها هو الوقت يا صاحبي
أعلن الآن صرختك المبهمةْ
تكْتسِي الآن بالأسر
والجمجمةْ..
لا يفيد التلعثُم في القول
لا يفيد ابتسام الشفاهِ الملطخُ بالزيفْ
في المدى.. صرخاتك
فوق الربى نجمةُ الموتِ
في البحر موج غريب
وفي الخطو ثأر قديم
وفي الرمل رقدتُك المرغَمةْ!

ما الذي بعد يبقَى
ليفيقَ الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعةْ
ما الذي بعد يبقى..
لنرى مشْهد الخاتمةْ!!

قاتـلِ رابيـنْ

لو كان القاتلُ عربيا
لا نطفأ الحلْم الموهوم بموجِ البحر
وتلونتِ الأوراقُ البيضاء
بلون الجمر
لو كان القاتلُ عربيا
لاحتكمتْ نسوةُ يوسفُ للشيطان
وارتفعتْ ألوية العهر على ساريةِ العصر
لتحدث في المهدِ وليدي..
يصرخُ ثانيةً
أن تبلعه بطن الأم
ولا يشقى في زمن القَهر..
لو كان القاتلُ عربيا
لانقضت فوق جِماجمنا..
كلُ صقور العالم
تنقرها..
تغرس فيها أشجار الصبار

وتعصِرها في قارورة جوعٍ
تُهديها للسادة في ليلة سكْر..
لو كان القاتل عربيا
لانكسرتْ في داخلنا أعينُنا
تتخاذلُ
تنزفُ ملحا
وبقايا جمر..
لتفجرت الأرض شظايا
والرملُ.. رفاتًا وبقايا
والنفطَ – على مائدة الأطماعِ –
مساومةً وبلايا..
والأعناقُ الشامخةُ.. مطايا
والنسوة عند نواصي الوطنِ
بغايا..
والأطفالُ عبيدا وسبايا
والحلم العربي خطايا تنخر
في الصدر
لو كان القاتلُ عربيا

لابتسمتْ نجمةُ داود
على قمصان الصبية فوق الخَصر
لارتسمتْ في حضن هلال مآذننًا
وتعلق في أذيال مفاتنها البدر
لاتحدتْ بشعار النسر العربي ودانتْ كل جسور النهر
لتحقق وعد الوطن التائهِ
من أقصى الشرقِ..
إلى أقصى البحر
....
ساعتَها..
لو تسألني عن وطني
تحفر أظفاري في موضع قدمي
قبرين..
قبرا للحـلم الضائع
والآخر للشعر!

مُقامـرَة

هل تجرب يا صاحبي أن تكون فتى
في أوانٍ يقُامر بالسيف
ينسى صهيلَ الجيادِ القديم..
هل تجرب أن تُخْصبِ القْلب
- لو مرةً –
بحنين الطفولةِ
في زمن شاخت الأرض فيه
وراحت تئن
ويختلُ في شفَتيها الصراخِ..
إنك الآن منفِلتٌ من إسارِ الطواحين
تكوي التجاعيد بين خلاياك
عل الشرايين تُفتح ثانيةً
تتسال منها طيور الخصوبةِ
همزة وصلٍ تُقرب وجهك
من ثمراتِ النضارة..
....

ها أنا لا ألوم الطواويس
تختصم الكون زهوا
لا ألوم البحار التي ترسلُ الموج
يغرقُ أفراحنا حين يلتهم الشط
يودي بحلم الصغار..
لا ألوم الشوارع منهكةً بالخُطى المستبدة
بالصرخات..
وبالوجعِ المتربصِ في كل زاويةٍ
ينبتُ الآن شوكًا على الأذرع الباليةَ
....
كيف لي أن أجرب تلك الخُطى
ودِنان من القَهر نجرعها
وطقوس من الموت نُشْعلُها
واللغاتُ التي حاضنتنا طويلاً
نبددها
والذي ظل في يدنا – العمر –
ينفرطُ الآن..
حبات رملٍ

وبعض رفاتٍ
وشيئًا من العشب محترقا
كيف لي أن أجرب
والذي كان يسلُبني الأمس
ثوبي.. وحـلْمي.. وخُبزي
أمد إليه يدي اليوم
أنْسى الذي كان.!!
....
ها أنذا مات في القلبِ فارسه
واستراح على باب هذا الرواق الجديد
أترى لو أصيح..
سيرتد للحلْق صوتي
أم أن المنَافي ستؤُويه
في ليلِهِ المستحيل!

١٩٩٦/٣/١٨

بَهْلُـول

سوداء نارك في القلب
شوهاء أحلامك
صارتْ مثلَ رمادِ الجمر..
فمتى تنزعها.. وتكورها
تقذفُها من شُباكك في ماء النْهر
ومتى ينضج خُبز القلب
ولا يحترقُ على آثامَ الكِذْب..
....
ها أنت تُلَوح في ملكوتك بالجنةِ والنار
ها أنت تلوح بالقَيد الصارخِ
واليومِ الموعود
وتناصرك بغَاثُ الطير
غمستْ ريشَ جناحيها
في زيتِ النهب..
فاشتعلت أشجار
واحترقتْ في القلب فراشاتٌ

وتهاوتْ أوراقُ الحِكْمة
في مقْصلةِ الذنب
لكني.. لا أملك مثلَك
تبديلَ الألوان
لا أملك تقليم العيدان
وزهو القلبِ المرتعشِ بأوجاعِ الصلْب
لا أملك مثلَك
أن أصبح بهلولا
أو أمسى قَزما في ساحاتِ الكلمةِ
أتْقن ألعابي في ميمنة الركب
لا أملك أن أُلْقِي يوسفَ
في جب الحقدِ الأسودِ
وألوم الذئب..!
أنا .. أملك لون الوجهِ الواحد
لون القلبِ الواحدِ
والماء العذب..
لا أملك مثلك نارا سوداء
تصهلُ في قلبِ القلب!

سقوط

قالوا في حضرتهِ
أكثر ما قالوا في الخمر
حجوا بين يديهِ..
وتواصوا بالآفاتِ العشْر
انتفخَ الضفدع
أمسى طاووسا
أرضى في مشيتِه من يتولون الأمر
قدم لهم الحب
أحرقَ مهجتَه بين يديهم
وجنَى أنجمه الزهر
قالوا عنه:
هذا مثَلُ الساعين إلى نعمتِنا
صعد إلى سلمهم
نظر إلى الدنيا نظرةَ صقْر
اهتز السـلّم في قدميه بغتة
فهوى يستَصرخُ من قالوا في حضرتِه خمرا

....

كانوا ينتظرون متى يسقُطْ

حتى يشحذَ كل منهم مديتَه

في يوم النحر!

لزُومِيَّات

١- لزُومِيَّةُ الغُرْبة

اخترقْ يا جوادي
سماء البوادي
ونور سواد سوادِي
بهذا الوهج...
إنني مذْعن
إذ أنا موقِن
إن فيضا من العِشْقِ
في خاطري ينْبلج...
قد ُأعاند حينًا
ُأسربِلُ خطْوي بالسهدِ حينًا
أذوب مضغةَ قلبِي...
ولكنني جمرةٌ في المدى تنْسرج...
بحر عشْقِي عميقْ
موجه... جامح في العروقْ.
إنه يتحدى احتدام البروقْ
ولكنه البحر...
يصعقُ أحلامنا في اللجج...

شرقَ القلب حتى اشتعالَ الخيوطْ
غرب الخطْو حتى اندماج الشطوط
ألبس الليلَ في دفقةِ العصفِ
أسطورة الأُخطُبوط...
ولكنني راحلٌ... راحلٌ
للمدى المنعرج...
كيف لي أن أصِيد
وهذا المدى المنعرج
...
كيف لي أن أصِيد
وهذا المدى مثقلٌ بالقُيود
وكلُ الغنائمِ يا شيخُ...
تُعرض في السوقِ
صارخةً بالجحود...
وهذي شباكي ظلّتْ زمانًا طويلاً
تحاولُ صيد المهج...
كيف لي أن أُباعد عن خاطِري
غُربة السفْحِ يا شيخُ

كيف...

كيف تنالُ خُطاي – مع الليل –

سِدرةَ هذا الدرج...

٢- لزُومِيَّةُ الشَّوق

القلب يتوقْ...
للرؤيةِ ... حين اللغةُ تضيقْ
ولكشْف الستْر عن العاشق والمعشوقْ
عن تُربة هذا الغرس...
فتحتُ عيون القلب
أعلنتُ على أجنحةِ الطير
لغاتِ الحب...
وتوسلْتُ أرتلُ آياتِ القُرب
لعلي... تُشْعِلُني جذْوةُ هذا الدرس...
عتقتُ كئوس الكرم
أنضجتُ الخبز على أوجاع العظْم
فلعلي يقْبلُ مني هذا العزم
ولعل تُطهرني – في موقِدِها – الشمس...
طأطأتُ برأسي...
فاجأني لسع الخوفْ
قلتُ لعل لهيب الشوق تجسد في طِيفْ
ولعلي بعد قليلٍ...

أُغمض عيني... كأني يرتد إلي الطرفْ
وينطلقُ بأحلامي القوس...
عفوا...
كنتُ أسابقُ وهمِي
وأود ملاذًا...
فغدا قلبي... والدمع عليه...
أفلاذًا... ورذاذا
قلتُ: السلْوةَ يا رب السلْوة
ذاك قضائي... لا رجعةَ فيه... معاذَا
اعذُرني يا رب العذْر
سويتَ القلب بطَمي الشوقْ
فلم ألبس في خَطْوِي
سيفًا... أو دِرعا... أو تُرس...
عفوا...
ما كنتَ إله البخْس
ما كنتَ إله البخْس...

٣- لزُومِيَّةُ الجَمَال

اللظى ... آيةٌ ... ومذاقْ
وأنا فوق أحصِنَةِ البرقْ
فارس يتطهر بالجرح
أهوى جنون السباقْ
أتحدى الشطَطْ...
وإله حين تصفُو ابتسام الشفاه
وتطيب الحياه...
وأصرخُ: أعشقُ هذا الجمالَ
وليس بقلبي سواه
فتنظر كلُّ العيون إلي
يعزون في... عقْلِي المخْتَلَطْ...
عاصفٌ في بحارِ الغَرقْ
ضاقتْ الأرض ضيقَ الحدقْ
أي ذنبٍ جنَى لَو فؤادي عشِقْ
واكتوى في لهيب الهوى وانخرطْ...
حسنُه لا يعادِلُه أي حسن

غُصْنُه لا يطاوله أي غُصن
ما درى القلب
ما لَمس الكفُ من قَبلُ
ما أُشْبِعتْ بالملاحةِ عين
إنه درةٌ... بين كل الذُرا
تُلْتَقَط...
لا تلوموا اشتعالَ الضلوع
لا تلوموا السفائن في بحرها
لا تود الرجوع...
ليس من ذاق طعم الجمال
ـ كمن لم يذُقْ ـ بالولوع...
إنه صاعد
صاعد
يتحدى السقَطْ...

٤- لزُومِيَّةُ الحِكْمَة

أواها أمسى القلب
يزمزم في جنبي
مسكونًا بالصبوةِ... شق جداري
انطلقَ إلى لاشئ...
واستلقَى مجنونًا في كهفٍ
لا يجرؤ أن يدنُو منه شقِي
أتراه يبحثُ عن دفءٍ آخر...
ـ لا حقتُ الخطْو
فَهمت بي في الصحراءِ وحوشْ
طاشَ السهم
وقبلاً... ما كان السهم يطيشْ
أُتراني الآن تشظيتُ
أم العالم صار على لوحةِ كفي
حروفًا... ونقوشْ
وصرتُ أنا أنظر فيه نظرةَ طائر...
ـ هل حقًا أقبلتْ

أم أن الباطلَ قد أنشب أظفارا

حين توجستْ

هل يسقطُ عنك حجاب الصمت

أم أن الحِكْمة يا شيخي

في الفَلَكِ الحائر...

ـ دل القلب الآن

ولا تتركْه مجنُونًا...

جففْ هذا الدمع... وقطر دفئَك

صار الدفء بعالِمنا نهبا وظنونا

بلّغْه يا شيخُ سكونًا ... ويقينا

ذاقتْ نفسِي كل هموم الشغفِ القاهِر...

احملني فوق جناح الحِكْمة

لا أبغي أن يرجع قلبي

بحصادٍ خاسر...

٥- لزُومِيَّةُ المَرَايَـا

أخْطا...

حتى أنتْ من سطوتِهِ الأرض

وجف الماء بقلب الحوض

شقت أغلالُ البلْوى ظُلمتَها

تُشْرع أسنان القبض

لكأن القَدر ترصد خطوتَه وحده...

انطلق عتيا...

لا يملك من دنياه الحولْ

ألقته جبالٌ لجبالِ

وسهولٌ لسهولِ

ومياه لمياه...

حتى انصهر النعـ ـل...

ورأى في كل مرايا الأرضِ خطيئتَه

بعيونٍ نُجلْ

فاستلقى دمعا وشرودا

وافترشَ لهيب الدنيا... جهده...

أي سماءٍ تقسو بعد عليه
بلا رحمه...
أي إلهٍ يجمد قلبا
والمخطيء بين يديه معترفٌ يشكو إثْمه
أي حنينٍ يشْوي قلب العاشقِ
لا يكشف تلك الغُمه
وينفض قيود القَهر الصلدةْ...
تلك مرايا الزمن تراوغُنا
أين نسير...
وتُسدد أشواك الخطْو بأعيننا
ويعز النور...
من يا شيخُ عساه يعطينا
ظهر مرايانا ... والعمر قصير...
من يا شيخُ يخلصنا في زمن الردة
من يبعدنا عن تلك الشدة.؟

٦- لزُومِيَّةُ الفَلَكْ

كوكب فوق جفْن المدار
جانِح..
أخرجتْه الكواكب من ليلها
فأحس الصغَار
نسيتْ أنه كان يوما نديم الثريا
لأول ضوءِ النهار..
كان ملء الأفقْ..
إثمه.. أنه مل هذا المدار اللعين
واشْتهى فلكًا من يقين
وانثنى يسترد طلاقَتَه
سائلاً عن بهاءِ النضارِ الدفين
وأتى موعد غاب عنه..
فقيل: مرقْ.!
تلك يا كوكب العِشق كفاي
قوسان لا يبليان
فلك من ندى.. وحنان

ومدار من الدفءِ مل خِناقَ الزمان
واحتراقَ الحدقْ..
أنا مثلُك – يا كوكبي –
ممعن في السؤال..
لكن ما فوق أرضِي..
من الماء والرمل.. والريـح..
والقصفِ مثلِي
تهوى الجِدال..
ليتها أنكرتني – كما أنكرتْك الكواكب – يا صاحبي..
فأُحس بجدوى النزال
أحس بوقع الخُطَى
واشتعال الشفَقْ
ليت أرضِي تثور وتُعلن
أنى نَزِقْ..
ليتَها تُشهر الآن
سيفَ الحنَق..

٧- لزُومِيَّةُ النُّور

أضاءني حين اشتهيتُ الضوء
أسقطَ كلَّ غُمةِ
سقوطَ النوء
وأمطر القلب بفَيءِ العشق
باسطًا جناح البرء
وذبتُ في الشغَف..
أدركتُ أن أحرفي تألقتْ
وأنها تبدأ من جديدٍ ترتوي
ولا تحس بالعنَتْ
وأن نفسي لم تعد أمارةً
لأنها تنالُ ما اشتهتْ..
وتطرح السرف..
قبضتُ هذا القبس الناري
بالعنان..
عرفني كيف انطويتُ عنه
- عمري الماضي –
وكيف أنني خسرتُ في انطوائي الرهان

عرفَني حين يشفني الوجد

طلاقةَ اللسان

وكيف في حضرةِ وجههِ..

أقفْ..

هل للعطاءِ بعد..

أن يقل

أو يقبض

أو يغيم..

وهل لمن ذاق حلاوةَ السنا

لا يطلب النجوم..

وهل لمن ودع ليلَ النفسِ

يشتهي الغيوم..

ويركب الصلفْ..

ها.. كلُ شيءٍ في الخلايا يعترفْ

منذ أُضيء القلب بالعشق

اصطفيتُه قلبا

فشف الروح

ونورتْ به الأقلام والصحفْ.!

٨- لزُومِيَّةُ اليَمّ

عطشٌ محموم في حلقومِي
وغليلُ القلبِ يثرثر..
يشهقُنِي..
يصعقني حين أنازله بكُلُومي
نسِي القلب زمانًا
كان – بسقمي ورضاي – قسيمي
فتعال حين عجبتُ لضيقِ الصدر..
أنفلتُ الآن أودع أغلالَ القلبِ
إلى موج اليم..
لا أحدا يرصدني
أو يؤثرني بحنان الضم..
حسبي أن تصبح أمي الأرض
وأبي اليم..
ولا أشكو بهما اليتْم
ولا ينقُص مني العمر..
فرعون أنا..

والقصر..
وحلم الفارسِ في عيني
وصراخُ الموج
وأشرعةُ السفن
وحيتان لا تقبل أن يزحمها في اليم صبيْ
وجبالٌ شاهقةٌ
جئتُ أنازعها حين شربتُ المِلح
وغذيتُ عروقي
وسننتُ ذراعي
لا أبغي الساحلَ أن يلقاني بالقَهر..
آن أوان عبورِ الخُلجانِ العشْر
فمن نخافْ..
ومن يكسرنا..؟
والشوقُ بداخلنا طوفان الجمر..
مِم نخاف..
وعطشُ الحلقوم.. قديم
والملح بداخلنا
لن يصبح ماء عذبا.. أو خمر..

٩- لزُومِيَّةُ الجُمُوح

سواك لا صوتٌ
ولا حديثٌ..
سواك لا مأوى.. لا مغيثٌ
سواك لا كأس روتْ
ولا قِطافَ يمنح الشبع..
لكن في حشاشتي وعلاً شقيا جامحا
يريد أن يثقب جلد القلبِ
صارخًا.. ونازحا..
يضم عرض الأرضِ والسماءِ
قبضةً.. ويضطجع..
أسمع خلف خاطري..
دبيب حرفٍ ساخطٍ
وهمس شعلةٍ من الرحيق
في اختناق الحائطِ
من يا ترى يفوز بي
ومن تراه ينصدع...

جرب فلن تخسر غير خطوةٍ مراوغة
فحجتي يا صاحبي.. مسنونةٌ.. ودامغة
تبحر في موج اشتهاءٍ
وولَع..
صحتُ: وشيجتي.؟
قال: وهل يضير لو تراها تنقطع
فتُطلقُ الرياح أخرى
والعيون تتّسع..
تحملك الآن إلى رؤَى الوجدِ
وألفِ خطوةٍ
وألف ألف منتجع..
حتى إذا عدتَ قريبا أو بعيدا
سرتَ فوق ذِروةِ الخلْق
فتى مفَوها..
لديك ما ليس لدى الخلق
من البيان المبتَدع
جرب..
ففي الجموح ذِروةُ الشّبع..

١٠- لزُومِيَّةُ الخَطْف

ما عدتُ إلا الصبو والصفْوا
ما عدتُ خِلْوا
وما اختفى نجم المدى عن ومضهِ
سهوا..
نحن الهوى.. والبوح.. والسكن..
لم أكْمل الجملةَ في لساني
ولم يكن قلبي مكذبا بنَاني..
حين أشرتُ مسلما نفسي
وواضعا سناني..
كأنني بالأمسِ لم أكن..
يخطِفُ قلبي.. أعيني.. كما يشاء
لديه ظلي.. وهجيري..
واحتوائي.. والعطاء..
أنزلتُ في كفيه أوجاعي
أحالَها البلسم والشفاء
وودعتْني في المدى المحن..

لا أصمت الآن
ولن ينالني الخرس..
فلن يضيع من يدي هذا القبس
ولن أحس غير أنني
في سنا الرحيق أنغمس
وأقهر الزمن..
مضمخٌ أنا بعطْرِ هذا الشوقْ
مسربلٌ في داخلي
بنار هذا العشق
وصاعد .. مخترقٌ
لِسمتِ هذا الأفْق
أنظر في زهوٍ إلى نضارةِ المزن..
لا أرتضِي العودةَ
للأرضِ وللفتن..
لا أرتضي الإحن..

١١- لزُومِيَّةُ الاخْتِرَاق

كغزالٍ يمرح في البرية
أو ريحٍ تخترقُ مداها
تنشر رائحةَ الدفءِ شذية
هبتْ أحلامي من سكْرتِها
تنشلُني من أوجاعي المطويةَ
تسكب في قلبي اللهفةَ والري..
أجتاز الآن سمائي
شوقي يسقط لي ألف حجابٍ وبلاء
وهو براقي.. أنظر في عينيه
فيمنحني عزم نَبي..
أنظر أقمارا تعنُو..
وشموسا تسجد
أنظر نارا تمنحني قَبسا من عسجد
ورؤى بين يدي تتجسد
وتجدد في قلبي شوقَ فَتِي..
ساءلني شيخٌ يتبتّـلُ

في ظل شُجيرة

كان الصمت لساني

ضاعتْ مني كل لغاتي المدخرة

ما كنتُ لأقوى أن أحكى عن أرضى

ونعيم الكون يسوقُ أمامي صوره..

ويشبع عينَيْ..

أدرك شيخي..

أني مهموم.. مقهور..

أخرج قلبي..

أمطره بالدر المنثور

قال: الآن لك العشقُ

لك الشوقُ

لك النور

لك الأحلام النضِرة

فعد إن شئتَ

فأنت الآن الأقوى..

١٢- لزُومِيَّةُ البَوْح

في بعده.. قُربى
في قُربهِ .. برء من الكربِ
في لومهِ.. التكفير عن ذنبي
ماذا عساي أود من بذْل
أقسمتُ ما باح اللسان.. وما
إلا بوحي العشقِ حين همى
وسهمِ هذا الشوقِ حين رمى
فغدا لساني في الهوى نَصلى
قطرتُ من كبدِ السما قَطْري
روى سقامي..
فارتوى شِعري..
جرى يمد الخصب في قفْري
ويشهد الدنيا على وصلي
مهما يماطلْ في هواه معي
فاللوح منقوشٌ به ولَعِي
والبوح آهاتٌ من الوجعِ

والعشقُ قد صحتْ به سبلي
يا ساكني الشرفاتِ في أفُقي
منارةً فاضتْ على ورقِي
أسماؤكم لون على حدقِي
ومنْسك يخلُو به عقْلي
وميض برقٍ ذاك أم قمر
وبوح قلبٍ ذاك أم خبر
شقتْ عصاي البحر تعتصر
فصب موجا جائر الوبل..
قلت استوى عندي هوى المطْل
وحرقةُ الأقوال والفعل
لكن من أهوى يقاسمني
بوحي..
وهذا منتهى شُغْلِي..

١٣- لزُومِيَّةُ السَّفَر

جهز لي وِسادةً.. وزادا
وقال: هذه خريطةٌ ترى بها
السهولَ والوهادا..
فلتنطلقْ تسعى بأرضِ ا ـِ
واسلكِ الرشادا
وقفْ أمام كل رؤيةٍ على مهلْ..
ـ سرتُ تسوقُني ليل نهار
لهفتي..
قلتُ لنفسي: ما الذي يسيء
لو أنني طرحتُ جانبي خريطتي
وسرتُ في هدى فؤادي
واتبعتُ حجتِي..
ألقيتُها في الموج
وانتظرتُ حتى نالها البللْ
ـ تلقّفتْني في المدى عوالم بلا زحام
ليس بها ماء.. ولا طعام

سوى اشتعال القلبِ بالهوى
والشوقِ والضرام
وحرقةِ المقلْ..
ـ قلت لحارسِ البستان
هذا أنا يا صاحبي.. مريد
أملك حرقًا ناضرا.. نَضِيد
قال: اتّئِد
فلستَ بالحروف وحدها..
تُريد..
نريد يا فتَى قلبا مبرءا من العِلَلْ..
ـ قلت: أريك القلب واختِره ما تشاء
إنني أتيتُ من خطى بعيدةٍ
تغوص في الشقاء
يقتلُ فِيها الخلقُ بعضهم
ويرتقي في سلمِ العروشِ
من يتقن لُعبةَ الولاء..
ويعرفُ الحِيـل..
ـ الحارس الأمين رق لِي

يزيد في ودادي
رافقَني..
فقلتُ لن أرجع مرةً أخرى
إلى وسادتي وزادي
فكل ما أهواه في اشتعال القلب
يكتمل..

١٤- لزُومِيَّةُ البَصَر

خاتلْتُه حين اتخذْتُ عين صقْر
لعلني أخترقُ الستور
تمرقُ العين خلالَ النحر..
أسترقُ النبض الذي
غدا فتيلاً واستقر في جدار الصدر
لعلني أرى.. وأرتوي من النُطَفْ
فاجأني بالضوء مبهرا ومبرقًا
أسقط عين الصقْر من هدبي محنِقًا
وضعتُ كفي علَى عينَيْ
لعلّ عيني القديمتين أن تأتَلِقَا
وتستعيدا بؤبؤَ الشغفْ..
ـ صرختُ يا رب العيون والشجون
والصوابِ والخطأ..
أعوذُ من عينٍ – تهم أن تراك –
تنطفيء..
أعوذُ من شوقٍ أبى

ألا يظل في ظمأ..
وأن يظل راكدا بلا لَهفٌ..
ـ سمعتُ هاتفَ الغيبِ
يدوي من بعيد..
أن اعترفْ بأن كل جارحٍ
على خُطَى سلطانِه شهيد
وأن من أبدع نور العين
قادر على إطفائِهِ
وقادر على شهودِ كل ساطعٍ شريد..
ولا يناله الأسفْ..
قلت: امِتْني وابعثِ النفْس
وجودا ثانيا..
قلبا إلهيا مضيئًا زاكيا
وبصرا فيه.. حديدا صاحيا
إني مِللتُ أن أعيش كل شيءٍ
في خطاي فانيا..
وأن أظل نهب كل منعطفْ..

١٥- لزُومِيَّةُ العَوْدَة

ـ درب مبتدأٌ ليلَ نهارِ
ليس له آخِر..
ودروب من أول ظلِ
صاحبها خاسر
يتمنى لو لم ينفق فيها عمرا..
ـ درب مبتدأٌ
فيه الذكْرى متوقدةُ المدْ
فيه العودةُ تنفخُ في روح اللهفةِ
مهما شق البعد
وتضيء قناديل جنُوني
سرا أو جهرا..
ـ درب يخصب نخلاً في القلبِ
ونغما في السمع
وشغفًا في العين..
ويحيلُ قفار الدنيا روضاتٍ من يمن..
ويمد بكل زواياها صورا..
ـ هذا مبتدئي من قلبِ القلب

يمتد به العمر..
ويقصر فيه الشيب
أُشْبِع من طلعتِه البصرا..
ـ أهوى العودةَ أخطو فيها خُطوة..
أهوى الذكرى أحيا فيها وأُجنْ
أعشقُ.. أعشقُ
يسرى بدمائي وهج الصبوة..
وأنالُ به وطَرا..
ـ لا جرم إذا وقفت قدماي
على مبتدئي
أو أسرعتُ إليه أروي ظمئي
لا جرم إذا أنزلتُ بحضرته صدئِي
ونسيتُ الكدرا
وتنور ملء دمائي شوقي
شِعرا.. أو شمسا..
أو قمرا
لا لوم علَي..!

١٦- لزُومِيَّةُ الحَرْف

ـ في البدءِ كان الحرفْ..

إشارةً تفتح باب الشمسِ

أو تكُفْ

شهاب أفقٍ ساقطًا

يقصفُ دب الخطْوِ أو يشفْ

يمد نهرا أو يحيله خرابا..

ـ حدقتُ داخلي

لعل حرفًا أمتطيهِ كوكبا

يحرق عشب القلبِ

يسقط المدى.. والحجبا

وجدتُ (كافًا) حيرتْها (النون)

أمهرتها.. لهبا..

أسرعتُ أصطفيها دون غيرها

خطابا..

ـ طرحتُ حرف (النون) جانبا

وجئتُ (باللام) التي تحيط كل شي

الشوقَ واللقاء..

والشمس والجوزاء
والنار – في المدى – والفيء
قيلَ ازهدِ الآن فكل شيءٍ
لا ينال هكذا بوجهه الندِي
ويسقط النقابا..
ـ قلتُ: استعدتُ جمرةً
لا تقبلُ الزهد ولا القليلا
توحد الحرفُ بخطوي..
صار قوسا يغنم النجوم في سمائها
ويرفض الأفولا..
فما الذي ينقُص بعد فارسا نبيلا
وما الذي يملك أن يحيلَ
شوقَه سرابا..
اخترتُ حرفي منذ بدءِ خُطوتي
يعبر بي البحار والوهاد والشعابا
علمني..
كيف أكون طامعا معاندا
لا أرهب الصعابا..

١٧- لزُومِيَّةُ التَّجَلِّي

ـ تحت جناحٍ يسبح في ملكوتِ النور
رتلاتُ مزاميري..
لم أُسقطْ منها مزمور
وخلعتُ الجلد أضمخُ أوردتي
بعطورٍ.. وبخُور
وتكورتُ بإنسانِ العين..
ـ مولاي..
أنا في بابك احشُر نفسي فردا
لا أملك إلا فيضا
يشحذُ في قلبي القصدا
ويملؤُني.. وجدا
لا يدخلني في ليل الظن..
جل النور
تمنيتُ أرى وجهي خيطًا وشعاعا
جل القُرب
وددتُ أراني بين يديه – ذراعا –

جل الحسن
سواه يشكو في رائعة الشمس ضياعا
ـ جل المأوى.. والحصن..
مولاي.. اقبلْني.. وتجل على قلبي
وامنحني عشقًا نورانيا
يخرجني من كربي..
يستلّ ظلامِ النطفةِ
يكشف عني ليلَ الحجبِ..
يجعلني نصف إله..
يشهد كل الحسن..
- مولاي –
أنا العاشقُ
ليس بقلبي غير العشق
أنا الشاهد
ليس بعيني غير الشوق
إن لم يوسع لي صدرك
فليصعقْني البرق
تذْروني الريـح بأفلاك الكون..

١٨- لزُومِيَّةُ القَنْص

ـ وقتُك وقْتِي
وملامح قلبك.. نعتي
وذرا هامةِ أحلامِك – سمتِي
فمتَى تُقنص أوجاعي
ويداوى سقَمِي..
ـ حين قرأتُ قديم عهودِك
ضلت نفسي بعض الوقت
يشحذها شوقٌ محموم لصعودِك
قلت: لعلّ ضلالَ النفْسِ
شهادةُ صدقٍ تُدنيني لشهودِك
وتقوى هِممِي..
أعددتُ القوس ليوم القَنْص
وتدرعتُ بكل الحِرص
وتذرعتُ إذا وقع اللوم
بما بي من نقص
وبما أطويه من نَدمي..

كانت آلافُ الطير على قُنن الأشجار
ووحوشٌ تعوي ليلَ نهار..
وشموس تلهبني بالنار
وتلوح لي بالنقمِ..
ـ حاولت أراوغُها بالكَلِمِ المعسول
قطَعتْ دوني كل سبيل
قالت: لن يصلُح قنصك
إلا ببلاءٍ ورحيل
لا تتوقفْ في خوفٍ أو سأمٍ..
ـ همت عيناي تحيطان العالم
قبضا.. وخيالا..
أُرسلُ فيه نِشابي..
يسقط طيرا.. وغزالا
ويروى من فيض العشق جمالا
فحمدتُ ا   على نِعمي
وقنصتُ العالم في قلَمِي..

١٩- لزُومِيَّةُ الآه

ـ صراخُ قلبٍ ذاك .. صامتٌ
أم آهةٌ مجلْجلةْ
وقْع خطى ثقيلةٍ فوق ربى الشوق
أم الصخور القاتلةْ
تُجدد الخطر..
ـ آهٍ من الصمت الذي استوى
فوق موائد الأقلام..
وفي حماه تشحب الأحلام
وتنمحي الذكر..
آهٍ من العشق الذي
استكان في قوسين..
حمق .. وريب.. محنتين..
وغاب فيه البوح.. والحذَر..
آهٍ من الشوق الذي
أُحرقَ في ضِرامِ جفْوة
وأُخمدت في موقديه الجذْوة

وآثر الكدر..
آه من الآه التي تسقط
كل أيكةٍ جديدة
تُغرقُ في سعيرها المائي
كل نبضةٍ معقودة..
وتُمطر الغِير..
آهٍ من اللُومِ الذي يقصفُ نصفَ العمر
يحفر غُصةَ السهدِ بعمق الصدر
كأنها نار سقَر..
ياليتها الآه التي تأتي على عشْبِ الحشَا
وتحقن القلب بكل نبضةٍ جديدةٍ
كما تشا..
وتشحذُ السمع الخفي.. والبصر
يا ليتها الآه التي تضيء كل شيء
تظل دائما على سفَر!..

٢٠ – لزُومِيَّةُ الذَّوْق

ـ كأس تعصِرني ليلاً
لتفيض صباحا شمسا
وتقطر في أوراقي الحسا
وتدوي في صدري نبضا
وبخطوي جرسا
وتحيلَ النهر الساري في أوردتي
خمرا..
ـ أشرب منها..
فأرى العالم في قبضةِ كفْ
وأرى العمر الماضي والآتي
في صفْ..
وتعجز عيناي عن الوصفْ
أدرك أن مذاق شرابي قرّبني
ما كان شرابي سكْرا..
ـ السر استرخى في كفي معسولا
ونعيم الدنيا.. موصولاً
ولحون ملأت سمعِي

حلما قُدسيا مبذولا
يحملني السر إلى آفاقِ اللهفةِ
طيرا..
ـ أسرع لي من بين كهوفِ الصمت
خليلْ..
يجذبني للعودةِ عن هذا السر المجهولْ
قدم لي آبارا من خمرٍ
تروى كل غليلْ
وتشبعني عطرا..
قلت: وماذا تعطيني آبارك من ذوقْ
وكأسِي لا ترويني
حتى تُظِميني بالشوقْ
لو أنك ذقت الآن لفجرتَ الآبار
وأسرعتَ إلي بوجه طلْقْ
ولامستَ العسجد والدرا
ذوقي لا يعدلُه ذوقْ
منذ عرفتُ السرا
ونطقَ لساني سحرا..

٢١- لزُومِيَّةُ الذُّهُولْ

ـ عصفتْ بي ريح الرؤيةِ
في وهج الشمس..
ومعي من نفحاتِ الهيبةِ .. غرس..
ودليلي في الفلواتِ
مرابع قيس
يا زمن الشدةِ هديء هذا الجبروتْ..
ـ أخترقُ الآن فضائي
لا أخشى خطرا..
انشُد هذا الجبلَ النوراني المزدهرا
أُنْشده.. شعرا..
أشَهد فيه سر الملكوتْ..
صعقَ لساني
صعقتْ مني القدمان
توهجتِ العينان
دوى بهما شوقُهما – الطوفان –
وطغى فوق القلبِ سكوتْ..

صاحتْ عيناي كعصفِ الريـح
أنا منك وقلبي في العشق طموح
أنتَ الفارس عشقَك في قلبي
والنبض صحيح..
وذِكري لجمالِك
لا يثنيه خفوتْ
يذْهلُ قلبي..
تذهلُ عيناي
ويذهلُ خطوي الثائر
لكني أزهقُ عمري
وأُفتتُه مهجا وسرائر
من أجل لقاءٍ طاهر..
ثم أموت.!

٢٢- لزُومِيَّةُ العَطَاءْ

ـ كنزا مخفيا كان العشقْ
أمطر رب العشاقْ
نُطفًا غُمِستْ في وهجِ البرقْ
تثمر فوق الأرض
عشاقًا أبد الدهر..
ـ العاشقُ دين لقاءٍ.. وعطاء
لهفتُه الشعر
وخطاه السحر
وصبوتُه – وحي .. ونداء
ونبض القلبِ لآليء در..
ينطلق جواد العشقِ شهابا
يحرق عشب المين..
يحيلُ الأسقام سرابا
لا يبقِي لون القفر..
ألقٌ يتنور بالعشقْ
تتوحد فيه عيون.. وشفاه

يتلاقى فيه نبض القلبين
يتسامى بخشوعٍ وصلاة
يشتعل بموقده الجمر..
فلماذا يخشى الخلقُ
غليلَ الصبوة
ولماذا يرضون قليلاً
فيعاني القلب ظلام الشِقْوة
ويعاني الأسر..
ها نحن العشاقَ احتدمتْ فينا
نيران الصهر..
فبذلنا أنفسنا
انطلقتْ بين نجوم الأفق
بدورا.. وثرياتٍ زهر..
لا نبغي أن نرجع
للأرضِ الحبلى بعطاءِ الغَدر..

٢٣- لزُومِيَّةُ السُّؤالْ

ـ فولاذٌ بابك لا يفتح
صمتٌ قهرك مهما شرقَ
أو غرب..
يجمح..
للقلبِ العاشقِ والصابر..
ـ يرضيني أن يلقاني بابك
بذراعِ القُرب
فأنا معتصر نارا.. وضياء
بحنينٍ رطْب
ولهاثٍ نادر..
ـ أسألُ .. لكن العالم من حولي
لا يسـمع..
ـ أسألُ .. والقلب الخاشع
في صمت العالمِ يفْجع..
ويعز عليه النوم الناضِر..
ـ العين سؤالْ..

وشَغافُ القلبِ سؤالٌ.. وسؤالْ
والصمت على أبوابك سيفٌ باتر
ماذا لو يشكو القلب ويسألُ
مِلء النبض
ماذا لو تصفو يوما لهواه الغَضْ
وتضيء الخاطر..
ماذا لو تُسقطُ مطرا
يخصب في الرملْ
ماذا لو صدقتَ القولَ
وباركتَ الفعلْ
ورحمتَ القلب الضامِر..
فولاذٌ بابك
لكني لن أهدا يوما
فأنا يملؤُني شوقُ مغامر
صمتٌ قهرك
لكني لن أُطفيء في قلِبي نورا
يجعلني هذا الشاعر.!

٢٤- لزُومِيَّةُ الصَّحْو

ـ تهالَ حلمي حتى استوى
دوحةً من ثمار
دنتْ بغصون النُضار
وعطرٍ يفجر في القلب شمس النهار
تزدهي بالصور..
ـ جاءني باسما معلنا
أن عمرا من الحبِ أشْرقَ في اللوحِ
حلو السنا..
أن يوما من الصفو يمتد.. يمتد
يشبعنا بالمنَى..
قادم من سفَر..
ـ كنتُ في الحلمِ أحتضن النجم
بين يديْ..
كنتُ أنقُشُ شِعري فوق ذراعيه
أزجي له نفحةَ الحبِ زهرا نَدِيْ
أشُق ظلام المدى

وأخاصِره بالحنينِ العتيْ
والجنونِ النضِر..
ـ أعصِر الآن قلبي..
ورأسِي ثمِلْ..
أقرأ الآن شِعري لبوحِ المقَلْ
أتحدى بسرى المدى
أتحدى الصدى.. والملْ..
أتحدى الضجر..
ـ فجأةً.. هبطَ الصحو فوقي
وشوقي في مقلتي يضطرم
حاول الصحو أن يسقطَ الحلم
لكنني كنتُ أعمى.. أصمْ
رحتُ أوقد شعلةَ حلمِي
أعشقُ ما شاء ِلي العشقُ
أنهلُ من نبعِ تلك النعم
وأودع نهر البلاءِ العكِر..
ـ صحوتي الآن حلم
وحلمي صحوة..

وبينهما الآن أوثقُ عروة
وسيلٌ من الآي يهبطُ
يعلن وحي النبوةِ
واكتمالَ الخبر..

٢٥- لزُومِيَّةُ الصَّفْح

ـ قالْ:

ليس العالم ملكًا ليدينا

ليستْ أشجار الصفصافِ

تُظللُنا..

فابحثْ عن أرضٍ أُخرى.. ومساء..

ـ قالتُ:

نجرد أنفسنا من طين الأرض

نصفو من أغلال القبض

ونشْحذُ رأسينا بالأنواء..

ـ قالَ: وأين طريقُ النور

وكلُ الطرقاتِ رفاتٌ.. وشكاةْ

والشوقُ انفطر على قارعةِ الدربِ

وحيدا في الظلمات..

يبحثُ عن مأوى .. ورجاء

ـ قالتُ: لماذا لا نبدأُ نحن الآن

ننسى هذا الزمن الجائر

ونمد يدينا للحب..

نلقاه بزهور الريـْحان

نخرجه شجرا خصبا من تلك الهيجاء

ـ قالْ:

لكني أذنبتُ كثيرا في حق الحب

حين هجرتُ حماه..

وأعميتُ القلب

وتعللتُ بعجزٍ وبلاء..

ـ قلتُ: الحب كريم يصفح عن أحبابِه

فالهثْ يا مقرور إلى بابِه

وأنْس العمر الماضي.. والأهواء

قال: جئتُ بأوراقي

قلتُ: كفاك تُلوح بالأشواقِ

وبصفوٍ.. ووفاء

ـ قال: أنا منك إليك

قلتْ:

أنا منك إليك

نتوحد في ذروة دفءٍ شماء

تصفو فيها العين
ويجلُو السمع
وتدنو فيها الجوزاء..
وتُغفر كلُّ ذنوبِ البشر السوداء..

٢٦- لزُومِيَّةُ الحِمَى

ـ إلى هواك أنتمِي
وبالسها في القبةِ الشماءِ
أهتدي.. وأحتمِي
وكل شيء في الخلايا
لهفةٌ لسر هذا الطوطَمِ
لنْبع هذا المفترقْ..
ـ دلاتَ عيني على هداك
ولم يكن في قلب مقلتي سواك
فصادفتني الريـح تقصفُ الخُطى
وتُطلقُ الهلاك
لكنني مازلتُ للفضاءِ أخترقْ..
ـ حماك ظلٌ.. ،لهيب.. ونَهر
حماك شمس.. وعباب.. ومطر
أدركه.. ولست أشكو
أو أصيح بالحذَر
فكل شيءٍ داخلي

منجذب.. لذاك العبق..

ـ باريتُ كل عابرٍ إليك

حتى جاوز الخطاب كل حد

راهنتُ كل فارسٍ في ساحةِ الجلَد

فكنتُ أولَ الفرسان

لم ينلْ مني أحد..

لأنك أتحدتَ بالسيف

وبالقلبِ

وبالمدى.. وبالشفقْ..

ـ وكنتُ أخشَى إن تمرد القلب

ودوى مرةً بآفةِ السؤال..

أن تأْمر الحراس أن ينَازِلُوني

وأنا لا أملك السيف

ولا أقوى على النِزالْ..

أخشى احتراقَ الشوقِ في اللجاجِ والجِدالْ..

أخشى قواي تنسحق..

ـ لكنني أدرك كم صفحتْ

وكم تقاسمتَ معي شقاء الصمتْ

وكم أضأتَ أحرفي..
وكم شحذْتْ..
من أجل أن أهوى.. وأستبقْ..
ـ إلى هواك لن أضِل المنطلقْ
إلى حماك أحترقْ..

٢٧- لزُومِيَّةُ الاحْتِوَاء

ـ النهار انقسم
واللظى يحتدِم
والمدى موجه يضطرم
إنها طلعةٌ أشرقتْ في الربى السامقة..
ـ الصبا.. والجمالْ
واشتعالُ العيون بسحر الحلالْ
وألفُ قصيدةِ شعرٍ..
وألفُ سؤالْ..
وسكرةُ قلبٍ تعطّر هذا المدى
وتجلجلُ غاربةً شارقة..
ـ أيها العاشقون استووا في الصفُوفْ
واحشُروا العشقَ بين يديكم هنا..
وانقروا بالحنين الدفوفْ
ها هنا صح ضوء النهار
وصح دعاء الكفوف..
هطلَ الوجد يشْفى قلوب الأسى العاشقة

ـ قِبلتي الآن طلعتُه الراحمة
وعلي الصلاةُ.. علي الدعاء
ولي أرتوي وُأرطب خُطوتي القادمةْ
وأوقع أحرفي الحالمة..
فوق لوح السـنا..
في ظلال المدى الرائقة..
ـ قادم بالجراح التي تشهد الآن
آي العطاء
أضع الآن سيفي
وُألقى بنفسي بلا حذرٍ أو إباء
يتفجر شجري..
فأسمع أصداءه تتردد
في لهفةٍ واحتواء
أتقدم بالخُطوةِ الواثقة..
ـ كم أود لو امتد عمري
ولا أغمض العين لحظةْ..
كم أود أعيشُ لهيب اشتياقي
وأقتاتُ قيظه..

وأودع راحةَ قهري.. وصمت حروفي

وأشعلُ جمر جنوني..

ويصبح عمري يقظةْ..

وأدفن في الرمل أحزاني السابقةَ..

....

ـ إنني واله بسنا الطلعةِ الصادقة

أتَلاشى.. أودع صمتي

ولا شيء ينقصني

في بدائِعهِ الخارقة..

٢٨- لزُومِيَّةُ الزَّمَن

ـ وحشٌ نَهِم لا تسقُط أسنانُه
حتى تنْبتَ أخرى
ويدوي في كل فؤادٍ سلطانُه
في سطوته.. ليس له في الخلق
مثيلْ..
يقف على الأبواب..
يرصد خطوتَنا.. يلبس كل الأثواب
ليس له بين الناس خليلْ
ـ ثقُلتْ فينا خطوتُه بالشقوةِ والهم
واسترخَى في دمِنا يعلن زيفَ الحلْم
يمحو من رؤيتنا أي دليلْ..
سابقنَا حتى انكسر الظهر..
وعطِشْنا..
فسقانا كأسا بشرابٍ مر
لا تروي أي غليلْ
ـ يطوى البغض الأسود للعشاقْ

يبغي أن يشويهم في السأمِ
وجمر الأشواق..
ثم يباغتُهم بالحسرةِ في كل سبيلْ..
ـ قلتُ .. أُفتتُ نبضي
أصنع منه حِصنًا للقلب
أُعلن زمن الحب
لعل الوحشَ الجائر يغمض أعينَه.. ويميلْ
ـ قلتُ: أدوى بالكلماتِ الصارخةِ المسنونة
وأرفع سيفي بذراعي المجنونة..
وأطفيء كل فتيل..
ـ قلتُ: أسدد خطوي
وأكور عمري بين يديْ
أعطـر كل نجومِ العالمِ في عينيْ
ولا أخشى قيظ المجهولْ..
ـ الآن..
الزمن انحدر إلى السفْح
يخفي في بردِته الجرح
وأنا عشقي للعالمِ موصولْ..

أُعلنُه.. أطويه..
فيفاتُ من أيدي الزمن
ويعطي.. وينيلْ..
كل جمالٍ.. وجليل..

٢٩- لزُومِيَّةُ السَّكَنْ

ـ رميتَ لي سهما أصاب لهفَتي
لكنه ما كان يبغي لي تفَتتي
أضاءني.. وأشعل السكر بقلبي
واستوى في زفرتي..
كأنه الوحي السماوي احتوى يقيني..
ـ كنتُ أحس القَر والرياح والجليد
وكنتُ أشقى حيرةً
أسألُ عن وهمِ الخُطَى
وغيبةِ الوجود..
أحيا ولا أحيا..
وكل ما أملك أنفاس من الآهاتِ
في صدري.. تميد
تقتلني في شقوتي.. ظنوني..
ـ وحينما رميتَ لي السهم
حسبتُه منيتي
فقلتُ: حسبي.. أستريح الآن

من لجاجتي..

فيصمت اللسان..

تُطفأ العين.. وأُلقى عدتي

لكنك الوفي كنتَ بالحمى الثمين..

ـ واقَيتَني بالقُربِ والحنين.. والسكن

أضرمتَني قلبا.. وعينًا.. وبدن

أمرتَ طير الحلمِ أن تحط في يدي

بالمنَن

وقلتَ لي: سكنتُ نبضك الآن

غدوتَ لي خَدِيني..

ـ أمسكتُ بالسهمِ الخفي

أخفيه عن الأعين في حصوني

أعلن للدنيا جنُوني..

لكي يميلَ الناس عني

يتركوا الحديثَ عن عشقي

وعن سكوني..

٣٠- لزُومِيَّةُ الجُنُون

ـ ما كنتُ إلا بشَرا
مراوغًا.. وخَيرا
معترفًا.. ومنكرا
وطيبا.. ومذْنبا..
قلبي ارتوى من الصوابِ والخطأ
يطيع تارةً
وتارةً بكل نبضٍ يجتريء
لا ينتهي من لهفةٍ مشبوبةٍ
حتى أراه قد بدأ
يروض الحلم .. يمد السببا..
ـ فما الذي يضير لو أُجن مرةً
وأصطفي
من عالمي..
من يستحق صبوتي أو لَهفي
أعطيه ما أعطتْنِي الدنيا
من الحِمى.. والشغفِ

أمنح عمرا تلظى لهبا..
ـ مخير أنا..
فلم أكون عاقلاً.. حكيما
في عالمٍ ودع حكمة الهوى قديما..
وأشْعل الشمس بثوبِ الليل
أسقطَ النجوما
وآثر العيشَ – على أقداره –
منقلبا..
ـ ما كنتُ إلا طفلَ هذا الزمن الردِيْ
أسوقُ أظْعاني
ولا أخافُ أي شي
عصيةٌ خُطاي.. في زمانَي العصِي
أسابقُ الرياح والمدى والحِقَبا..
ـ ما كنتُ إلا بشرا
- ككل من يحيا –
يعيشُ نصفَه مشرقًا.. مغَربا
جنونه خُطاه
وخطْوه الجنون..

وعشقُه لم يعرفِ الزهد

ولا لهيبه خبا..

وحرفُه..

يلقيه محرقًا.. مذَنبا..

٣١- لزُومِيَّةُ الارْتِوَاء

ـ زنَبقةٌ تَنْبتُ في صدري
تتفرع .. تمتدْ
تُقطّر عِطر هواها في نهر العمر
وتُجدَد شِعري
أعشقُ شلالَ الحلم المتدفقَ من فِتْنِتها..
نبع من شهدٍ .. وعطاء
يروى عطشَ القلبِ..
ويشْفى أعتَى الأدواء
يعصِر كل نجوم الليل بكأسٍ لقاء
ويقاسِمني نشوةَ نظرتِها
ـ عطَشي لا يروى من أول رشْفة
طوفان النور بمقلِتها
يرجح في ميزان اللهفَة..
وقناديلُ الليلْ..
لا تُطفأ أبدا في أركان الشرفَة
ولحون لا تهدأُ..

صنعتْ عِقد نضارٍ في ليلةِ زينتها..
تلك عروس موكبها الحلم
وحور العين..
ومركبها مزدان بالدر المكنُون..
ومداها..
أنهار صافيةٌ .. وقطوفٌ .. وغصون
وأنا الفارس أشعلُ جذْوة جلوتِها..
ـ زنبقتي..
لا تسقطُ منها ورقةْ..
تتجدد كل صباحٍ.. كل مساء..
في طلعةِ شوقٍ مؤتلقةْ
في نبضةَ حس
وشذا عطرٍ..
وحنين معتصرٍ
وخُطَى في قلبِ الليل العاتي مخترقةْ..
أعشقُها..
أعشقُ فيها الدنيا في لون عذُوبتها..
ـ لا تسألني كيف أُروى عطشِي من خمرتِها

كيف وقفتُ مريدا في حضرتِها
كيف أرى عمري الآتي
ميلادا يتجدد.. يتطهر في جذْوتِها..

٣٢- لزُومِيَّةُ السِّبَاقْ

ـ ما جئتُ أراهن

بحصانٍ خاسر

أو أخدع من أتسابقُ معه

بالقول الغادر

لكني جئتُ أنافِر

بالحرف الشاعر..

ـ حرفي يبدأ مذْ بدأ العالَم

لا قَيد عليه.. ولا خاتَم

يعلو صهوةَ كل ركابٍ

لا يوقفُ سطوتَه طاغوتٌ راغِم

أو حذرٍ قاهر..

ـ أشعلُه في وهجِ الصدر

ولون الدم

أطلقُه صقرا.. أو موجا..

أو عصفًا.. أو سهم..

ألقَفُه حين يعود إلى

وأُخفيه في وجعِ العظْم
وأعصِر منه السر الغائر..
ـ حرفي تاج ملكيْ
وسوار – في معصم ليلي – ذهبيْ
وسنا يتفجر فيه السر المطْويْ
حرفي.. عشقي الباقي
والخطو القادر..
ـ أحرز فوزي في ساحاتِ الشّدة
أحملُ في صدري للعالمِ
حلَم مودة
لكني لا يمكنني أن أصبر
كي لا يطفئَني السأم
ويشْقَى قلبي في الردة
فأكون بعشْقي للهفة كافر..
ـ حرفي وصلُ القلبِ
وحبلُ القُربِ
وطوفان الحب
ومرايا الزمن الآتي والغابر..

فبأي الآلاء يكذب حرفي
وهو يدوي في الساحاتْ..
يشدو.. ويسابقُ
وينافر..

٣٣- لزُومِيَّةُ الهِجْرَةْ

ـ شمس في مركبها الذهبي
تعبر خط العرض
وتقبض زفرتَه قبض شقي
تتمهل حيث تشاء
وتسرع حيث تشاء
كأن العالم في قبضتها سفر مطويْ
يرضى بالقَهر.. وبالذلْ..
ـ أتراها سئمتْ هذا الأفقَ المحموم
تبحثُ عن أرضٍ أُخرى
وسماءٍ.. ونجوم
أتراها سئمتْ كل قرابين البشرِ الأُولى
والفلَك المرسوم
وأحستْ بشقاءِ الثُكلُ..
ـ لو كانت شمس الدنيا بشرا .. أو شيطانًا
لعصتْ وأبتْ أي خنوعٍ قاهر
وتولتْ عن قبلِتها.. في صابٍ قاصِر

لو كانتْ..

لانطلقتْ في أعماق الكون تهاجر

وبغتْ.. تنزل في عالمنا الهولْ

ـ لا.. لن تهجر عالمنا الشمس ضلالاً

لكنا.. من نهجرها

نقتلُها داخلنا..

نأباها نورا.. وجلالاً

نرميها حمقًا.. ونبالاً

ونطوقُها بالعذْل..

هل حلّ علينا طوفان الويلْ..

فغدا الخطو الثائر في داخِلنا

يخفي شعلَته في كهفِ الليل..

أم أنّا أزهقْنا أنفسنا

سأما وقنوطًا..

وقنَعنا بالظلْ..

٣٤- لزُومِيَّةُ الخَلاصْ

ـ من عصفِ محيط الوهم
تهب علينا ريح
حملتْ كل سقامِ القلبِ
وكل الهم
ويكاد النور البارقُ في أعيننا
ينطفيء بطوفان الدم
ويسترخي في لهفتنا الخوفْ..
ـ اختلطتْ في الليل الظلمةُ بالنور
اشتعلتْ نار النقمةِ في القلبِ المقهور
هاجم ليثُ اللومِ خُطانا
في حنَقٍ.. وثُبور
وتعتق في داخلنا الضعف..
ـ ها نحن أسيران بقضبان الليلْ
نطلب من ربِ العدل حنان العدلْ
ويدوي الدمع صراخًا
من وقع خطا هذا الهولْ

لكأن الدنيا سئِمتْنا
وتوعدتِ الخطو الباقي فينا بالحتفْ
ـ قلنا الرحمةَ يا رب الرحمةِ والرفقْ
ما نحن سوى أغصان في دوحتِك
السامقةِ على مفترقِ الشوقْ
فاكسر يا رب.. الطوقْ
وظَلِلْنا بسحابٍ العطفْ
ـ نبحثُ عن وجهِ خلاصٍ من دنيانا
وخلاص العشقِ بطاقتِنا
يصفو .. سلطانًا.. وأمانا
لا يقهره ليلٌ.. أو موج
يشقيه في الأوجاع زمانا
لا يثْنيهِ عن مرفئه سيف..
ـ ها هو قنديلٌ في أيدينا
لا يطفأ أبدا
ما طال الليل.. وما طال الأسر
وما ذَرفتْ أعيننا دمعا بددا..
ها هو نور يسري فينا ليل نهار

ويطيلُ الأمدا
هو لغةٌ تتوحد فينا
أحرفُها الألفْ..

٣٥- لزُومِيَّةُ النَّشْوَة

ـ يرطب قلبي الندى
أقطّر في العين نورا
- بآلائِه – مفردا..
ُأطهر في وقفتِي منطقِي
مسمعِي.. واليدا
وأحفظ عهدي في زلفتِي..
ـ قبضتِي.. أحرفِي
حين أبسطها.. تُخصب الأفقَ
بالألقِ المرهفِ
فأُسمي النجوم
أحاورها بالهوى المدنِفِ..
وأغمس حجةَ قولي في لهفتي..
ـ أي شيء – ترى – ينقُص العين والقلب
حين التمني..
أي شيء عساه يكذب ظني
وبين يدي قطوفٌ تُظلّلُ خطوي

وتُبعد شجوي.. وحزني..
وتُشْعِني بسنا نشوتي..
لا أود الجنوح ولو لحظةً
لا أريد البديلْ
كلُ شيءٍ هنا..
كان فيما مضى – المستحيلْ
فتجسد في راحتي ليروي الغليلْ
ويباعدني عن هوى شِقوتي..
ـ نشوةُ القلب..
ما مثْلُها أي نشْوةْ
صبوةُ الخطوِ ما مثلُها أي صبوةْ
سلوةُ النفسِ – للنفسِ –
تمنح وحي النبوةْ
تمنح الدفء.. والإرتواء –
وتمتد للذروةِ..
ـ برح الشوقُ بِي والصبابةُ
في لذةٍ
سكن العشقُ في القلبِ

منتشيا..

لا يمل من السكرة..

٣٦- لزُومِيَّةُ التَّلَفُتْ

البحر أمامِي
والأوجاع ورائِي
وخُطاي اللاهثةُ تدق
علَى عنقِ البطحاءِ
فتتني الشوق.. فكان العالم
في عيني جمر شقائي..
ُأفلتُ منه للزمنِ المجهولْ..
- حين خطوتُ ُألبي صيحة أعلَى نجم
زنْبقَ في قلبي العزم
وتَسنْبلَ في كفي الوشم
وتخذتُ كتابي لعبورِ الفلواتِ
دليلْ..
البحر أمامِي..
لكن محظور أن أتلفتْ
أو أنظُر خلْفِي طرفةَ عينٍ
حتى لا أتفتتْ

وتضيع خُطاي..
فلا أملك إلا أن أقبلَ موتي
أو أصمتْ
يصدأ في قبضةِ كفي سيفي المصقولْ
ـ قيل..
لا تنْظُر خلفك
فترى الدنيا قصفًا وبروقًا.. وغيوما
وترى ما كنتَ جنيتَ .. ترابا .. ورميما
انطلقِ الآن إلى البحرِ
ولا تقْنَطْ مذْموما
الموج ينادي الآن.. وربان البحرِ
وكلُ شواطِئه والحلم المأمولْ
- ألقيتُ همومي لا أعبأ بالماضي الأخْرقُ
قلتُ البحر عميقٌ يتجدد موجا
في قلبي.. يتدفقْ..
أرضى أن أغرقَ فيه حتى أشْرقْ
وأُروي ظَمِئي من ملحِ العشقِ
وأُشعلَ في مرفِئه الأقصى قنديلْ

- لن أتلفتَ خلفي طرفةَ عين

والحسن بعيني مكتملُ الحسن

والوجد تجسد طعما.. لونًا .. رائحةً

يملأ بين يدي الدن

فأشرب ما شئتُ بلا خوفٍ

شهدا معسولْ..